دروس من هدي القرآن الكريم

سورة البقرة

[الدرس التاسع]
من الآية (١٨٥) إلى الآية (٢١٤)

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٩ رمضان ١٤٢٤هـ

الموافق: ٢٠٠٣/١١/٣م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

إعداد: يحيى قاسم أبو عواضة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.
اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

في الآيات التي ذكر الله فيها تشريع الصيام ذكر بالنسبة لشهر رمضان أنه الشهر: ﴿الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾(البقرة: من الآية١٨٥) ويدل على عظمة القرآن الكريم وأهميته أن يكون الشهر الذي أنزل فيه هو موضع عبادة هي تعتبر ركناً من أركان الإسلام وهي الصيام.
بمناسبة نزول القرآن في شهر رمضان أصبح شهر رمضان شهراً مقدساً وشهراً عظيماً، وهذه الأهمية (أهمية القرآن الكريم) : هي تتمثل في أهمية وعظمة البينات والهدى التي هي مضامين، وهي الغاية من إنزاله، والبينات والهدى هي في الأخير لمن؟ للناس؛ فيدل على الحاجة الماسّة، الحاجة الملحّة بالنسبة للناس، حاجتهم إلى هذه البينات وهذا الهدى.
أن تكون الفريضة التي فرضت في هذا الشهر العظيم هي الصيام، وهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن، يدل على أن هناك علاقة ما بين الصيام وما بين القرآن الكريم؛ من حيث أن ما في القرآن الكريم من البينات والهدى.. أن الالتزام بهذه البينات والهدى.. أن القيام بالدين على أساس هذا القرآن العظيم يحتاج من الإنسان إلى أن تكون لديه قوة إرادة، وكبح لشهوات نفسه، وترويض لنفسه على الصبر وعلى التحمل.
فالصيام له أثره في هذا المجال في مجال ترويض النفس؛ لأنك في أثناء نهار شهر رمضان تكبح شهوات نفسك، وتعوّد نفسك الصبر والتجلد والتحمل، تعوّد نفسك أنك أنت الذي تسيطر عليها.. أنك الذي تسيطر عليها. فمن المهم جداً بالنسبة لنا عندما نصوم في شهر رمضان.. عندما نصوم أن يستشعر الإنسان هذه الغاية من شرعية الصيام، يستشعر أنه يتجلد ويتصبر ويتحمل ليعلم نفسه، يعلمها أنه هو الذي سيسيطر عليها بناءً على توجيهات الله.. بينات الله.. هدى الله، تعوّد نفسك أنت الذي تقهرها وتُخضعها لهدي الله وبيناته.
لا يكون شهر رمضان .. ندخل إلى هذا الشهر بعفوية! ونخرج دون أن نحسّس أنفسنا بأننا قد قهرناها، من خلال نهار شهر رمضان؛ عندما نحس بالجوع، عندما نحس بالعطش نقول: لا. أليست هذه عملية تسلّط على النفس؟ نوع من الترويض للنفس وللجسم بكله على الصبر؟.
لأنه هكذا بالنسبة للقرآن الكريم.. بالنسبة لبينات الله وهداه؛ يحتاج من الإنسان إلى أنه يُخضع نفسه في مجال الاستجابة لها والالتزام بها والقيام بها.
وهي تعتبر فترة قصيرة بالنسبة للسنة، شهر واحد من السنة كلها تعتبر فترة قصيرة؛ ولهذا شرع أيضاً على سبيل التطوع صيام أيام أخرى؛ كصيام الست الصبر، وصيام الثلاث البيض من كل شهر.
إضافة إلى أن الصيام ـكما يذكر الأطباءـ أنه له فوائد كبيرة من الناحية الصحية، ومعنى هذا: بأن دين الله يتناول بناء الإنسان من كل جهة، أن في تشريعات الله ما الهدف منها ـأو من أهدافهاـ الجانب الصحي بالنسبة لجسم الإنسان، والجسم الصحيح والجسم السليم، أو نقول: (الصحة، وسلامة الجسم هي أيضاً هامة في مجال الالتزام بهدى الله، في مجال العمل في سبيل الله، في إقامة دين الله).
هذه تساعدنا على فَهم أن مسألة المرض؛ أنه لا يصح أن نقول دائماً: المرض.. كل مرض ننسبه إلى الله! ونحن نرى في تشريعاته ما هي ذات أهمية كبرى في مجال صحة الجسم، نحن نرى في تشريعاته ما هي بحاجة للنهوض بها إلى أجسام صحيحة وسليمة، كالجهاد في سبيل الله، هذه متنافية مع أن نقول: (أن الله هو الذي يصب الأمراض صباً على الناس)، أو (الإنسان المؤمن.. علامة أنك مؤمن عندما يصب الله عليك الأمراض، والمصائب صباً صباً)! كما في بعض الروايات؛ ولهذا تجد أن كثيراً من الأشياء الموجودة في هذه الأرض من النباتات والمعادن وحتى الشمس والهواء، يكون لها أثر كبير، نسبةً كبيرةً جداً من الموجودات في محيط الإنسان فيها أدوية، هي نفسها تدل على أنه: مراد للإنسان أن يكون جسمه سليماً، أن يكون صحيح البدن.

لأن كثيراً من المسؤوليات في دين الله تحتاج إلى هذا الشيء.. إلى صحة الجسم. إذا كان الجسم منهك تتأثر أيضاً في الغالب ـ يعني بالنسبة لغالب الناس ـ تتأثر حتى اهتمامات الإنسان، وتَقْصُر نظرته، يكون قريباً من الملل والضجر. إذا كان جسمه سليماً كانت ذهنيته صافية متفتحة. وفي نفس الوقت تعتبر صحة الجسم نعمة كبيرة على الإنسان.. نعمة كبيرة، ويجب أن يعرف أي إنسان منا بأنه: أيّ نعمة هو فيها ـ بما فيها نعمة الجسم.. نعمة صحة البدن ـ أنه يترافق معها مسؤولية. إذا كنت ذكياً، إذا كان لديك حافظة قوية، إذا كان جسمك سليماً؛ فهي تعتبر نِعماً يجب أن توظفها في سبيل الله.

ودين الله سبحانه وتعالى، والعمل في سبيل إعلاء كلمته مجال واسع جداً يستوعب كل القدرات ويستوعب كل المواهب، وهذه من النعم الكبيرة على الإنسان: أن يكون متمكناً من أن يُوظف كل طاقاته في مجال تُعتبر عائداته كلها له في الدنيا وفي الآخرة، أليست هذه نعمة كبيرة؟.

إذا لم يتذكر الإنسان هذه النعمة قد يحصل العكس! إذا كان ذكياً، إذا كان عنده نفس طموحة وذكاء في نفس الوقت، هي حالة إيجابية إذا وظفها في هذا المجال، إذا لم يوظفها في هذا المجال.. إذا قد أصبح معرضاً قد يتحول ذكاؤه إلى شر عليه وعلى الناس، قد يتحول إلى منافق. وغالباً ما يكون المنافقون من طبقة الأذكياء.. في الغالب ما يكون المنافقون من طبقة الأذكياء، أما الغبي المسكين فهو لا يستطيع بأن يكون عنده خبرة في مجال الذكاء والتضليل و الخداع و أشياء من هذه، لكن الغبي يكون ضحية هذا وسيظل هو ضحية لذاك؛ متى ما أصبح الذكي منافقاً كان الغبي نفسه عُرضة لأن يَضل؛ لكن بالنسبة لمن نقول: غبي! هو في الواقع إنسان قابل لأن تتطور معارفه وتتفتح ذهنيته، أن يعطيه الله نوراً فيتحول إلى إنسان فاهم، إلى إنسان ذكي.. إذا توجّه.

ومسألة التوجه هي قضية يعرفها كل إنسان؛ الذكي من الناس، والبسيط في ذكائه يستطيع أن يفهم أن يكون مخلصاً لله.. أن يكون مستجيباً لله.. أن يلتزم بهدي الله؛ حينها سيَحْصُل ما وعد الله به مَنْ كان على هذا النحو؛ ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً﴾(الأنفال: من الآية٢٩) ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾(الحديد: من الآية٢٨) بنوا إسرائيل عندهم نوع من الذكاء ـ باقي المؤهلات.. باقي مؤهلات وراثة الكتاب ـ عندهم نوع من الذكاء؛ لكنْ لاحظ كيف؛ أصبحوا يمثلون شراً كبيراً على البشر وعلى أنفسهم في المقدمة عندما لم يوظفوا ذكاءهم في الاستجابة لله، وفي العمل في سبيل الله.

العمل في سبيل الله هو بالشكل الذي تزداد أنت فهماً، ومعرفة، وذكاء، وفطنة. يعني: ليست عملية تقول: (أنها تستنفد طاقاتي)! هذه من الأشياء العجيبة في دين الله؛ قد تكون كثيرٌ من الأعمال مثلاً.. كثيرٌ من المهام تستنفد طاقاتك، أما العمل في سبيل الله فهو بالشكل الذي تتنمّى معه، وتنمو معه مواهبك.. طاقاتك فعلاً، أليست هذه نعمة أيضاً كبيرة؟ نعمة أخرى كبيرة جداً. لهذا قال في الأخير: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾(البقرة: من الآية١٨٥) تعظموه.. تعظموه وتكبروه وتجلوه وتقدسوه على هدايته لكم.. على ما هداكم إليه.

هذه تعني: بأن الإنسان كلما وجد شيئاً من هدى الله، يجب أن يستحضر في ذهنيته أن يُكَبِّر الله على ما هداه إليه. مهما بدت القضية كبيرة أمامك! فليحاولْ كل إنسان أن ينسف من ذهنيته استثقال أي شيء! لا؛ النظرة الصحيحة: هو في مقابل ما يبدو وكأنه شاق، ما يبدو وكأنه صعب، ما يبدو وكأن النفس تحس بنوع من العناء في سبيل أدائه؛ يجب أن تلحظ بأنه من النوع الذي يجب أن تُكَبِّر الله على أن هداك إليه.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(البقرة: من الآية١٨٥). ليس هناك في دين الله، ليس هناك فيما هدى الله الناس إليه ما هو خارج عن هذه القاعدة، وعمّا يجب أن تنظر إليه على هذا النحو! ما هي القضية التي يمكن أن تجعلها مصيبة؟ كل تشريع من تشريعات الله، كلُّ ما هدى الله الناسَ إليه هو كله من هذا النوع؛ من النوع الذي يجب أن تكبر الله على أن هداك إليه وتشكره، يعني هذا في الأخير أنه نعمة كبيرة عليك.. نعمة كبيرة عليك.

أليس الصيام يبدو.. وكأنه يريد أن نجوع ونظمأ طول النهار؟ هل تنظر إليه بأنه – يعني ـ قضية مصيبة علينا؟ لا، يجب أن تُكَبِّر الله على ما هداك إليه، أنْ شرّع لك هذه الفريضة؛ لأنه عندما يُشرع شيئاً لك ويشرّع لعباده، فكل ما يشرّعه لهم، كلُّ ما يهديهم إليه، كلُّ ما ، هو نعمة كبيرة جداً عليهم، نعمة عظيمة جداً عليهم.

الصيام له أثر فيما يتعلق بصفاء وجدان الإنسان وذهنيته، ويحس الإنسان في شهر رمضان.. أليس الناس يحسون وكأنهم أقرب إلى الله من أي وقت آخر؟ هذه فرصة للدعاء. تلاحظ كيف أن الصيام مهم فيما يتعلق بالقرآن الكريم، القرآن الكريم مهم فيما يتعلق بمعرفة الله؛ فيجعلك تشعر بالقرب من الله سبحانه وتعالى.

إذن فمن الإيجابيات الكبيرة له: أن تلمس في نفسيتك صفاء لذهنك، مشاعرك مشاعر دين.. مشاعر قرب من الله، أن تدعو الله سبحانه وتعالى؛ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾(البقرة: من الآية١٨٦). هذه من النعم العظيمة؛ لا يحتاج الإنسان أنه أولاً يبحث عن جهاز اتصال، كم رقم السماء الفلانية، أو تحتاج إلى أن تصعد إلى أعلى قمة جبل من الجبال! تدعوه أينما أنت أينما كنت وفي أي وضعية كنت فهو قريب منك. هذه من الأشياء التي ينفرد بها المؤمنون، ينفرد بها المؤمنون عندما يكونون بالشكل الذي ينقطعون عن توّلي أي أطراف أخرى، إلّا تولي الله سبحانه وتعالى ومن أمر بتوليهم في سبيل توليه أو كمظاهر لتوليه؛ لأن الناس يتولون مَنْ هو قريب منهم، وليس هناك حُجَّاب فيما بينه وبينهم، مَنْ يسمعهم في أي مكان كانوا، وفي أي وضعية كانوا.

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾(البقرة: من الآية١٨٦) كل داع، وليس نقول: (القبيلة الفلانية.. يتجمعوا ويكلفوا واحد لأنه بايحتاج أن يسمع لذيه، أمّا لو أن كل واحد يدعو من عنده، وكل واحد يدعو بحاجته، وكل واحد يدعو بكذا، ربما تختلط)! الله سبحانه وتعالى هو عليم وحكيم لا تلتبس عليه الأصوات.

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾(البقرة: من الآية١٨٦) أيّ داع وكل داع بمفرده. عندما ترى الناس في عرفات.. هذه من الآيات العجيبة وهي من مظاهر سعة علم الله؛ والناس في عرفات يدعون، كل واحد يدعو، ولهجات متعددة، ولغات متعددة، وأصوات مختلفة، وكل واحد يدعو! لو تسجل مجموع أصواتهم لما عرفت أنت ربما كلمة واحدة تميزها، تسمع ضجة فقط. ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ ﴾(البقرة: من الآية١٨٦) هذا تذكير للإنسان كإنسان.. الفرد الواحد من الناس؛ أن يعرف بأن بإمكانه أن يدعو الله، وهو قريب منه، لا يحتاج إلى أن يتجمع مائة شخص ثم نختار منهم واحد يمثلهم لأجل يدعوه، (فإذا دعوناه جميعا فلن يسمعنا)! ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾.

﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ (البقرة: من الآية١٨٦). هذا الأساس في استجابة الدعوة. وهي قضية منطقية، يعني قضية طبيعية؛ لأنها هي الحق. أنك تريد من الله أن يستجيب لكل ما تدعوه به، وأنت في نفس الوقت لا تستجيب له! هذه ليست قضية صحيحة.

﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ البقرة: من الآية١٨٦) فيما دعانا إليه نستجيب له. ومما دعانا إليه: أن ندعوه. الدعاء هام، الدعاء يجعل مشاعرك قريبة من الله، الدعاء يعبر عن أن نفسيتك في حالة مستمرة في الالتجاء إلى الله، والتوكل على الله، والاستعانة بالله.

الإنسان الذي يذهل عن موضوع الدعاء معنى هذا بأنه ماذا؟ مسيطر على مشاعره نسيانُ الله. عندما تكون ذاهلاً عن الدعاء لله ألست بطبيعة الحال في كثير مما يمر بك ستتلفّت يمين وشمال إلى الناس، وإلى الناس كيفما كانوا، وتكون حريصاً على أن تقضي حاجتك ولو على يد إنسان لا يقضي حاجتك إلا بما يقابلها من دينك؟ فعندما يكون الإنسان منقطعاً إلى الله ويدعو الله باستمرار، وكلما مر به من ظروف.. كلما مر به من مهام، في كل أمر من أموره.. في كل قضية من قضاياه دائم الالتجاء إلى الله؛ هذه نفسها تمثل حالة من الاستغناء عن أطراف ربما قد يكون رجوعك إليهم فيه إذلال لك، وفيه بيع لدينك، وفيه دخول في باطل.

﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي ﴾(البقرة: من الآية١٨٦) مسألة الإيمان بالله كما نقول أكثر من مرة: الناس جميعاً مؤمنون بالله، مؤمنون بأن الذي خلق السماوات والأرض هو الله، وأن الذي خلقنا هو الله، وأن الذي يدبر شؤوننا هو الله؛ لكن يوجد هنا مطلب في الآية هذه وآيات أخرى: تذكير بأن المطلوب إيمان حقيقي.. إيمان حقيقي وإيمان واعي. أنت عندما يقول الله سبحانه وتعالى لك: (أن تؤمن به)؛ أن تؤمن ماذا يعني أنه إلهنا؟ وما يترتب على هذه القضية من أشياء كثيرة في علاقتك به، وفي علاقتك بالحياة هذه كلها؛ أنه الإله، أنه الملك، أنه رحيم، أنه عزيز، أنه قوي، كل ما تعني أسماؤه الحسنى؛ إيمان عملي، إيمان واعي. هذا الإيمان الذي يجعلك بشكل تنقطع إلى الله سبحانه وتعالى، وتنطلق بقوة في هذه الحياة، عندما يدعوك إلى أن تنصره كما قال سبحانه

وتعالى في آية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ ﴾ (الصف: من الآية١٤) أليست هذه دعوة من جهة الله؟ يريد منا أن نستجيب له فيها؟ هي قضية، قضية الاستجابة متوقفة على نسبة الإيمان لديك ولديّ.. (الإيمان به)! فإذا كنت مؤمناً حقيقة بالله سبحانه وتعالى؛ بأنه هو ملك السماوات والأرض، وله ما في السماوات وما في الأرض، وهو الغالب على أمره، وهو القاهر فوق عباده، وهو القوي، وهو العزيز؛ الإيمان الواعي سيجعلك تنطلق.. تنطلق في سبيله وبقوة؛ لأنك تعرف أنه دعاك من هو أقوى من كل قوي، وأعز من كل عزيز، وأكبر من كل كبير، ومن هو الغالب على أمره، والقاهر فوق عباده.

هنا علاقة هامة جداً، وعلاقة متينة بين الاستجابة والإيمان به؛ الاستجابة متوقفة على الإيمان به. إذا كان هناك ضعف في موضوع معرفة الله سبحانه وتعالى، جهل.. جهل بالله فيما تعنيه أسماؤه الحسنى، فيما يعنيه إيماننا به؛ هذا يؤثر على الاستجابة ـ لاشك في ذلك ـ يؤثر على الاستجابة.

كلنا نقرأ وكلنا نؤمن بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ (الصف: من الآية١٤). هل هناك أحد ينكر هذه الآية؟ لكن لماذا لا يحصل استجابة؟ لأن هناك ضعفاً في موضوع الإيمان به؛ ولهذا قال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(البقرة: من الآية١٨٦)

لاحظ هنا كلها إيجابيات، كلها أشياء هامة جداً، الغاية من ورائها كلها للناس؛ (الصيام) هناك قال فيه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ويقول فيه: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(البقرة: من الآية١٨٥) يُذَكِّر بأنه نعمة كبيرة عليك، فالاستجابة له والإيمان به لعل الناس يرشدون ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾. هل هناك شيء يعود على الله من كل هذه؟ لا. حتى ولا الإيمان به سبحانه وتعالى؛ لا تكون الغاية منه أو ليست النتيجة هي أن الله سيستفيد من ذلك؛ يعظم سلطانه، أو أشياء من هذه! هو غني عن عباده.. الله هو غني عن عباده جميعاً.

الأمر بـ(الاستجابة) هنا مطلق: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ أي كلُّ ما دعانا إليه نستجيب له فيه، الاستجابة الجزئية لا تحقق الرشد ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾؛ لأن كلمة: (يَرْشُدُونَ) كلمة واسعة، في كل حركتهم في الحياة، في حركتهم في سبيل إقامة دين الله، في كل أمورهم؛ (رشد) في الدنيا للدنيا وللآخرة.

لا تأتي الاستجابة الجزئية إلا بسبب ضعف في الإيمان بالله سبحانه وتعالى. ولهذا قد تجد الكثير من الناس مستعد أن يصلي؛ لأن الصلاة لا تمثل خطورة بالنسبة لهم، وربما لو وصل الحالة أن تصبح الصلاة خطيرة لتجنب الصلاة ويقول: يصلي على الحالة.. وبأي طريقة! وهكذا! القضايا الأخرى التي يراها وكأنها تبدو صعبة سببُها ضعف أو عدم فهم لما يجب أن تكون عليه في نظرتك أمام كل ما تُهدى إليه وكل ما تُدعى إليه كما في الآية الأولى: ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(البقرة: من الآية١٨٥) يجب أن تفرح.

ولاحظ الناس الذين هم فاهمون فعلاً القضية هذه، كيف قال الإمام علي في موضوع الجهاد الذي يعتبره الناس مشكلة ومصيبة وحِمْل؟ ؛ (أما بعد: فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصّة أوليائه). أليس معنى هذه بأنه شيء عظيم جداً؟ فعندما لا تكون هذه النظرة موجودة عند الإنسان ستكون القضية معكوسة عنده؛ مشكلة ومصيبة! عندما يكون إيمانه ضعيفاً بالله تكون استجابته جزئية؛ لأنّ معناه: أنه ليس واعياً بما يترتب عليه إيمانه بأن الله قوي عزيز.

ألم يقل الله: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾؟ (الحج: من الآية٤٠). عنده: (والله أمّا هذا لا نستطيع ولا جهدنا، نحاول نستجيب في تلك الأشياء التي تبدو سهلة)! لكنَّ الله سبحانه وتعالى كما نقول أكثر من مرة: (يجب على كل واحد أن يفهم أنه لا يمكن أن يكون ذكياً أمام الله! لا. لا يمكن يعمل مثلما يقولون: يدخل الجنة بحيلة! يتحيّل.. ودخل الجنة)! الجنة معها (مَقَارِب)، لكن ليس فيها حيل؛ يقول واحد: (يمكن يجمع له حسنات من أطراف! هذه التي ليس فيها خطورة، ولا فيها بذل لنفس، ولا لمال، ولا خوف، ولا..)! هناك ربط قبولها بالأعمال الأخرى، وإذا بك صفر في الأخير.. لا شيء.

هل أمكنك أن تتحيل على الباري؟ أمكن أن تكون ذكياً أمام الله؟ وإلا ستكون حيلة كبيرة. يقول: (لا نستطيع، سنحاول، المهم الجنة، سنحاول نجمع لنا حسنات من هنا، ونترك أولئك يجاهدوا هم ويتعبوا، واحنا با نلتقي في

الجنة، ويكونوا قد تعبوا واحنا دخلنا ولا لقينا أي عناء، ولا لقينا أي تعب)!! ألا تكون هذه حيلة كبيرة؟ لا يمكن.

توطين النفس على الاستجابة لله وعمل الإنسان واهتمامه بأن يعرف الله معرفة واسعة؛ قضية أساسية في أن يكون راشداً، سواء كنت عالماً، أو كنت متعلماً، أو كنت من عامة الناس. فمن يتجه لإرشاد الناس وهو بهذه الحالة (الاستجابة الجزئية) فليتأكد بأنه لا يصح أن يسمي نفسه مرشداً، ولا يصح أن يسميه الناس مرشداً. فعلاً هذا ليس مرشداً، هو يرشد إلى أشياء ليست مؤثرة! هل هذا مرشد؟ هو يرشدك في الأخير إلى أشياء ليست مؤثرة إلا بالأخرى، هو في نفسه لا يسترشد، لا يهتدي، وإنما فقط يمكن أن يسمي نفسه عالماً، يسمي نفسه مرشداً، يسمي نفسه معلماً، والآخرون كذلك يسمونه! لكن هنا: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(البقرة: من الآية١٨٦) فتكون مرشداً حقيقة عندما ترشد، وتسترشد حقيقة عندما تسمع مرشداً، عندما تسمع شيئاً من هدى الله، هنا ستستفيد.

ثم يذكر سبحانه وتعالى فيما يتعلق بموضوع الصيام: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(البقرة:١٨٧).

هذه القضية يجب أن نأخذ منها عبرة، أن نأخذ منها مثلاً، فعندما تجد الموضوع هو موضوع صيام، وهذا الصيام كان فيه قضية على أساس أنه مازال الصيام متوارثاً؛ لأن الصيام هو مشروع في دين الله للأمم السابقة: ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: من الآية١٨٣) فهنا مظهر من مظاهر رحمة الله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾؛ لأنه ﴿كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ في المسالة.. أمام صيام.

يجب أن نأخذ من هذا بأنه: أمام ما هو أشد صعوبة من الصيام؛ أن رعاية الله تكون أكثر، أن رعاية الله للناس تكون أكثر فعلاً؛ لأنه هو سبحانه وتعالى الذي شرَّع الصيام والذي شرع الجهاد، فعندما تجد بأنه أحل للصائمين في ليل رمضان ما كانت على أساس الصيام من الأول ممنوعة، أليس هذا نوع تسهيل؟ وهذا نوع تسهيل له علاقة بماذا؟ بعملية الصيام لتبدو سهلة، ليكون أداؤها سهلاً، فيبدو صيام شهر رمضان قضية سهلة، أن يعرف الناس: أن الله سبحانه وتعالى هو يعرف حاجات الإنسان، يعرف متطلبات حياة الإنسان، فعندما يقول لعباده: أن يكونوا أنصاراً له، أليس الكثير منا يأتي يقدم قائمة طويلة عريضة! [لكن إحنا ما معنا وكيف يعمل واحد وأموال واحد يصعب عليه مفارقتها وقد يحصل وقد وقد] وأشياء من هذه.

هذه أشياء الله يعلمها، هو يعلمها من قبلنا، وهذه أمثلة بأنه يعمل أشياء كثيرة، هي تسهيلات في سبيل أن يؤدي الناس ما دعاهم إليه، وما أمرهم به، وقضية يشهد الواقع لها، قضية يجب أن نؤمن بها ويشهد الواقع لها، وفيها وعود إلهية: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾(الأنفال: من الآية٢٦) أليس الله يعلم حاجات الإنسان؟ يعلم أنه مخلوق يحتاج إلى أن يأكل ويشرب، يعلم أنه مخلوق ضعيف، يحتاج إلى عون في مجال أن يؤدي ما أمره به، هذه سنة إلهية أنت تجدها في الصيام على هذا النحو، وهكذا في بقية الأشياء بما فيها العنوان الكبير الذي يبدو كبيراً أمام الناس، الجهاد في سبيل الله.

يقول أيضاً: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ لا تكون القضية فقط هكذا، بل ينبغي أن تكون أنت تريد: أن يرزقك الله أولاداً، وقضية الاهتمام بأن يكون للإنسان أولاد، هي قضية موجودة في القرآن الكريم، نبي الله إبراهيم قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾(البقرة: من الآية١٢٤) ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾(البقرة: من الآية١٢٨) نبي الله زكريا دعا الله أن يرزقه ذرية طيبة؛ لأن الأولاد عندما يكونون صالحين نعمة كبيرة على الإنسان، ولأنك في

قضية تفرح بأي واحد، فكأنك تتمنى أن معك عشرة في سبيل أن تعمل في سبيل الله، وتعمل في إعلاء كلمة الله. أليس الواحد منا يتمنى أن يكون معه أكبر عدد ممكن؟.

إذن فإن الله قد جعل سُنة، سُنة التوالد هذه، سُنة التناسل، يمكن أن يكون منك أنت خمسة، ستة، عشرة رجال، وأنت تفرح بواحد من هناك، وواحد من هنا. فإذا الإنسان لديه اهتمام بدين الله، سيكون بالشكل الذي يفرح، يفرح بأن يكون له أولاد، وعلى أقل تقدير سيكون أولادك يتوجهون لك، إذا كان هناك لا يتوجهون لك إلا بصعوبة حتى يصلح لك واحد، ربما خمسة، ستة أولاد يصلح لك ولو أكثرهم على الأقل، أليست نعمة كبيرة؟.

كان العرب في أيام الصراع القبلي فيما بينهم حريصين جداً على الأولاد متى ما جاء له ولد يبشرونه [ويهنيك الفارس]. لأن واحد مكسب كبير، ماذا في ذهنيته؟ عندما يصارع قبيلة أخرى، وعندما قبيلة أخرى.

فالإنسان الذي لديه اهتمام بدين الله، وعنده روح جهادية يفرح بأن يكون له أولاد، فتكون القضية مسيطرة على مشاعره وهو يباشر أهله، يباشر زوجته أنه يطلب ما كتب الله، ما سهل الله، وما يسر من أولاد: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ لا يحصل التضايق من الأولاد، لا يريد واحد أولاد إلا عندما لا يكون هناك اهتمام في نفسه بدين الله وإلا ما هو الولد بالنسبة لك؟ فارس أليس فارساً؟ مجاهداً في سبيل الله؟ أليس المفروض أن تفرح؟ ولهذا أبيح للناس أن يتزوج الواحد بأربع عسى يجي لك من أربع خمسة عشر رجلاً يجاهدون في سبيل الله، يعبدون الله، مكسب كبير لك أنت.

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾(البقرة: من الآية١٢٨). اجعلنا، وهما اثنان، أن يكون هناك مسلمون لله كثير، لحبه لله، يتمنى أن يكون هناك عُبّاد كثيرون لله، وعاملون كثيرون في سبيل الله، وفيما يرضي الله، تجد أنت مثلاً تحب شخصاً معه عمل معين، ألست ترغب أن تبحث عن أحد معك في مجال يرضي الشخص الذي أنت تحبه؟ الإنسان الذي يحب الله، الذي يهتم بدين الله، تكون روحيته هكذا، يفرح أن يكون له أولاد، ولا يصدق واحد المحاولات التي يطرحونها ، هذه عملية المقصود منها تقليل نسل المسلمين، تَبَيّن في نفس الوقت أهمية مثل هذه الآية بالنسبة للمسلمين: ﴿ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾، أليس الآخرون يريدون أننا، يقطعوا ما كتب الله لنا؟.

لأنه إذا قل النسل أمكن أن أمر الحاصلين بأعمال كثيرة حتى يصبحوا أقلية، لكن قضية النسل هذه قضية عندهم مزعجة، وموضوع النسل لا عندك أنه مثلاً في هذا الشهر قد يأتي مثلاً زوجتك تبدأ تحمل في الشهر الفلاني، في الشهر الذي أنت فيه، يمكن بعد خمسة عشر سنة! أحياناً قضايا الصراع الناس يتصارعون ثلاثين سنة، خمسة عشر سنة ما تدري إلا وهذا رجال وفي نفس الميدان. الآن الفلسطينيون كم صراعهم؟ كم له من السنين صراعهم مع إسرائيل؟ أليس الآن الذين هم يقاتلون ربما هم أبناءُ أبناء الذي شاهدوا دخول اليهود العصابات اليهودية أبناء أبنائهم أحفادهم خمسون سنة من الصراع.

عندما يقولون: مشكلة، تغذيتهم وتربيتهم وأشياء من هذا، لا. المشكلة كلها من عند القائمين على الناس، من يحكمون الناس، هم الذين يكونون بشكل يجعل الفساد ينتشر فتقل البركات، تكون خططهم الاقتصادية فاشلة، ليس عندهم اهتمام بالناس، ليس عندهم خبرة في رعاية الناس، لا تربوياً، ولا غذائياً، وإلا فالله سبحانه وتعالى قد جعل الأرض واسعة، جعلها واسعة.

ثم إنه بالنسبة للشعوب، بالنسبة للأمم، غير صحيح بأنه إذا ازدحم الناس، أصبح شعب من الشعوب عدده مليون بأنه سيكون شعباً ضعيفاً. لا. بل يقولون فيما يتعلق بالنمو الاقتصادي: الشعوب الكبيرة تصبح هي سوق، سوق لنفسها، سوق استهلاكية هي، إذا أنت شعب صغير مثلاً عدده مليون أو مليونين ونصف، وعندك قدرات رأس مالية، عند أفراد لديهم رؤوس أموال كبيرة، يُصَنّع قليلاً واكتفى ، يحتاج يحاول كيف يبحث عن أسواق أخرى. لكن لاحظ [الصين] مثلاً مما ساعد الصين على نهوضها ما هو؟ سوق عالمية في نفس البلد، مليار وزيادة يعني: سوق استهلاكية كاملة، تنهض الشركات، وتنهض المصانع، وتنهض رؤوس الأموال، وتحرك رؤوس الأموال بشكل كبير.

هذه خطة غربية بالنسبة لنا، بالنسبة للعرب بالتحديد، بالنسبة للمسلمين بشكل عام؛ ولهذا يحاولون يشجعو على تحديد النسل، ويوزعوا أدوية، ووسائل كثيرة لتحديد النسل ليقطعوا نسلنا.

أرضنا هنا اليمن نفسها ما زال هناك محافظات فاضية، يوجد بلدان كثيرة فاضية، ليس هناك محافظة أهلها قد صاروا ملان أرضها، هناك ؟ ليس هناك قبيلة تقول: سكانها قد أخذوا مساحتها كاملة. حالات نادرة جداً في كل محافظة ما يزال هناك فساح، وما يزال هناك مناطق واسعة يتسع الشعب الواحد مثل هذا، ربما يتسع لمائتين مليون فما بالك عندما نقول: عشرين مليون هذه أزمة! نحن مستقبلون أزمة رهيبة! قد تؤدي إلى ما يسمونه: هبوطاً في النمو الاقتصادي، وإلى أزمات اقتصادية! هذا غير صحيح.

تجد أزمات اقتصادية مع شعوب قد لا يمثل سكانه إلا نسبة بسيطة مقارنة بمساحته ومعهم أزمة، ليست الأزمة تعني: أنها قد امتلأت بلادهم ناس، والمساحة كلها قد أصبحت كلها ملان ناس، لم يعودوا يعرفون أين يزرعون، ولم يعودوا يعرفون أين يربون مواشي، ولم يعودوا يعرفون أين يعملون مصانع، ولم يعودوا يعرفون أين يعملون مدارس. لا. ثم إن مسألة النمو الاقتصادي هي قضية ليست كلها مرتبطة بالأرض فقط، أيضاً هي مرتبطة بعلاقة الناس مع الله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(الأعراف:٩٦) ولولم يكونوا إلا سكاناً قليلاً، وبلادهم واسعة جداً، تجد عندهم أزمات اقتصادية، تجد عندهم مجاعات، تجد عندهم سوء تغذية، تجد عندهم حالة سيئة.

مسألة التربية، ليس معناه: أن الإنسان نفسه هو سيحتاج إلى أن يجلس مع أولاده كل يوم، ويعمل له فصلاً دراسياً في البيت فلا يتمكن لا [يترزق الله] ولا يقوم بأي عمل. موضوع الهداية في دين الله تكون غالباً لها طرق كثيرة جداً، يمكن واحد أن يهدي قبيلة كبارهم وصغارهم، يوجه، وليس فقط إذا كثر أولادك تعمل فصلاً دراسياً، يوجد أشياء معينة توجيهية تحرص على أن يقرؤوا القرآن، تتابع عملية تربيتهم، وإلا فقضية التربية هي أساساً ليست متروكة على هذا النحو لكل أب لأن الله يعلم أن الكثير من الآباء لا يكون عندهم قدرة، أو سيربي تربية غلط. هي قضية منوطة بالقائمين على حياة الناس. أليس هناك مدارس؟ ويمكن أن يكون هناك مدارس؟ لكن لاحظ المدارس الخلل فيها فيما يتعلق بالمنهج، وفيما يتعلق بكثير من المعلمين، فعندما تلمس فساداً في الشباب، في كثير من الشباب، في كثير من الكبار الذي هم خريجي مدراس خطأ في التربية، من القائمين على التربية.

ليس أن القضية أن زحمة، هناك زحمة سكان! لا. الأخطاء في مجال التربية تكون آثارها سيئة ولو كانوا بمعدل عشرة طلاب في الفصل الواحد، و ليس فقط خمسة ، ولو بمعدل عشرة طلاب وهي تربية سيئة سيطلع هؤلاء تكون عناصر تفسد في الغالب، سواء تولى عملاً إدارياً، أو في أي مجال هو فيه، تربيته تربية فاسدة في معظم ما يقدم إليه، أما ونحن أيضاً فاتحون المجال يأتي اليهود يربو الناس، فهذه [أطم] وهذه أيضاً أسوء، وهذه من أين جاءت؟ من أين؟ من القائمين على الناس، هو همه أن يسلم منصبه، أن تسلم رؤوس أمواله، أن تسلم مصالحه، ولو ضحى بالناس، وبدين الله، وبكتابه. قضية ملموسة تجد الكثير من حكام العرب قابل لأن ينزل أي شيء تأتي [أمريكا] تريد أن تفرضه سينفذه يسلم منصبه ويسلم مقامه! أليس عندهم شعوب كبيرة ملايين، لو ربوهم تربية جيدة لاعتزوا هم، ولهابت أمريكا أن تحاول أن تمارس أي ضغط على أي شعب من الشعوب.

فيما يتعلق بالنمو الاقتصادي أيضاً قلنا سابقاً أنه يشكل الشعب الكبير سوقاً استهلاكية لمنتجاته هو، يساعد على النمو الاقتصادي. اليد العاملة أيضاً، حتى أنهم يقولون عن بعض البلدان في أوربا: أنها ربما قد تكون بعد فترة من السنين تنهار اقتصادياً، وهي من البلدان الراقية صناعياً بسبب ماذا؟ قلة اليد العاملة، بسبب تحديد النسل، لاحظ في إسرائيل هل هناك تحديد نسل؟ أو هم يبحثون .. يبحثون عن اليهود من خارج يجمعونهم لماذا؟ لأن عندهم اهتمام، عنده طموح كبير بأن يهيمن على العالم، فهو يحتاج إلى الواحد، يحتاج إلى الشخص الواحد.

والعرب، المسلمون بشكل عام أعداد كبيرة جداً جداً، وإذا قد هم متذمرين من كثرتهم، والحكام أنفسهم صاروا يقولون: [مشكلة، قد أنتم زحمة!] لكن لماذا لم تشكل زحمتنا انهيار لاقتصادك أنت؟ أليس لديهم أموال كبيرة جداً؟ وعندهم بنايات فخمة جداً، وعندهم رؤوس أموال كبيرة جداً في الخارج حتى أنه لا يوظفها هنا لو أنهم يوظفونها هنا في داخل البلاد كان ذلك يشكل نعمة، فقط عندما يأتون يقولو لنا: أنتم عندما تكونون في أزمة

اقتصادية ـ في الواقع سببها هم ـ يقولون لنا: سببها أنتم، قد أنتم كثير، زحمة، مزدحمين هناك! لكن لماذا أنت؟ أنك توفر أموال هائلة جداً، وتطفح عندك وتصدرها للخارج أرصدة في البنوك!.

إذن قضية تحديد النسل ليست قضية صحيحة أن يتسابق الناس إليها نهائياً إلا في حالة واحدة عندما تكون المرأة نفسها حالتها الصحية تستدعي بأنها تتوقف عن الحمل وإلا فالباري سبحانه وتعالى جعل مسألة الحمل والولادة قضية مقبولة عند المرأة، وفي طاقتها، قضية مقبولة، فقط يكون هناك حرص على صحتها، على صحة المرأة نفسها، عندما يكون واحد زوجته صحتها جيدة ويحاول يوقفها حتى لا تنجب على أساس أن عنده [لا نريد أولاد.. لا نريد] هو في نفس الوقت يكشف أن ما عنده اهتمام.

عندما تكون أنت معلماً ألست تفرح بواحد من الناس؟ تفرح بواحد من الطلاب، بواحد؛ يكون منك واحد، إثنين، ثلاثة، أربعة، خمسة إلى عشرة. أليست نعمة يتوجهون لك، ويتربون على يدك، والباري هو المتضمن برزق الناس إذا التجأ الناس إليه، وتوكلوا عليه، هو يوفر أرزاقهم: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾(الطلاق: ٢-٣). ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ هي مثل: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾. ليس هناك التقوى، نص تقوى، وربع تقوى، وربع استجابة! هذه لا تنفق.

تجد سهولة التشريع فيما يتعلق برسم حدود الله، عندما يقول هنا: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾(البقرة: من الآية١٨٧) هذه علامة واضحة لكل الناس، كل الناس في عبارة واحدة، ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾(البقرة: من الآية١٨٧). ألم ينتهِ تحديد بداية الصيام وانتهائه بكل سهولة، وبأسلوب يعرفه الناس، عندما نقول: نريد الناس يقروا، هو هذا المقرأ لكل الناس، هي هذه الآية هو هذا المقرأ، هذا هو التعليم، وليس الكتاب الفلاني الذي هو هناك ملان مسائل كثيرة تضيع الحدود الحقيقية.

الله جعل الأشياء بالشكل الذي يستطيع الناس أن يفهموها ويميزوها، الناس يعرفون الليل، هل يوجد أحد لا يعرف الليل؟ ويعرفون الفجر عندما يطلع الفجر: ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾ نور الفجر مع بقايا الليل؛ لهذا قال في الأخير: ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(البقرة: من الآية١٨٧) لأن التقوى أن يكونوا متقين يحتاجون إلى بيان فتكون الحدود بينة، فبينها ليتمكنوا من أن يتقوه، يكونوا متقين.

قد تكون بعض الروايات غير صحيحة عندما يقولون: [أنه واحد من الناس عمل له خيط أبيض وخيط أسود]! القرآن عربي والناس عرب وفاهمين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر. ثم قال: [فنزلت: من الفجر] هذا ليس أسلوباً صحيحاً، ينزل لك ربع آية أو فقرة من آية، وهو هنا يقول كسنة لديه سبحانه وتعالى: ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾(البقرة: من الآية١٨٧) ليس أنه خيط أبيض وخيط أسود، تجلس في الشارع تراقب الخيوط وتنظر فيها حتى تظهر لك! أليست هذه قضية صعبة ودقيقة؟ تحتاج أولاً تجلس آخر الليل وتعمل لك وتراقب متى يتميز لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود حتى قال لهم: ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ وهنا اتضح لهم أن ذلك الخيط المعترض خيط الفجر الذي هو خيط أبيض مع بقايا الليل التي تبدوا وكأنها خيط أسود!.

عبارة [كذلك] هي توحي بسنة: أنه هكذا.. هكذا سنة الله، أنه يبين آياته للناس لعلهم يتمكنون وبسهولة من معرفة حدوده، فيكونون متقين له. لا قضية عويصة على الناس أنه متى نفطر بالتحديد، وأخذ، ورد، وناس معهم روايات عند غروب الشمس عندما يسقط القرص أفطر، عندما تغرب أفطر لا. هنا يقول: ﴿ إِلَى اللَّيْلِ﴾. والليل معروف ، في آيات أخرى هناك يبين أن الليل هو ظلام أليس هو ظلام؟ الليل يتميز عن النهار تماماً: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾(يّس:٣٧).

ثم يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾(البقرة: من الآية١٨٨) هنا تجد تشريعات متعددة، وتوجيهات متعددة بعدما قدم هناك بتركيز كبير على موضوع: التسليم لله سبحانه تعالى، التسليم لله الذي معناه في الأخير: تقبل هداه، والالتزام بهديه، وهديه هو واسع يتناول مختلف الأشياء، فكما أنه هنا يشرع الصيام، هناك في جانب التقاضي فيما بين الناس، التقاضي في الأشياء التي يختلفون فيها، ينهاهم من ماذا؟ ينهاهم من الرشوة. أنت أدلِ بشهايدك إذا معك شهايد، أدلِ بشهايدك، أدلِ ببصايرك، أدلِ بدعواك، أو

إجابتك، لكن لا تدلِ بأموال، ولهذا سمّاها: ولا تدلوا؛ لأنها بدل عن الشهادة التي تدلي بها.. بدل عن الدعوى.. بدل عن وثائق معينة تعطي فلوس والحاكم سيلفق القضية، يحاول يجعل الحق لك. فإذا كان الحاكم نفسه، نفس الحكام عندما يكون الحاكم قابلاً لأنْ يرتشي، أنت تعرف أنه.. أنك تتجاوز حدود الله، وتظلم نفسك أنت. قضية يُنهى عنها الحاكم، ويُنهى عنها الناس المتقاضون.

﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾(البقرة: من الآية١٨٨) فعندما أحاول عن طريق الرشوة أن أحصل على مال آخر فأنا أكلت ماله بالباطل، وهو في الواقع، كثير من العبارات في القرآن الكريم فيما يتعلق بموضوع المال: أن المال له دور، دور اجتماعي، المال هو مال الناس في الواقع، يعني: في حركة المال التي رسمها الله سبحانه وتعالى هي في الواقع تجعل المال وكأنه للكل؛ لهذا ربط مسؤوليات كثيرة بأصحاب رؤوس الأموال.

أليس هناك شرّع الزكاة؟ أوجب عليهم الزكاة، أوجب عليهم الإنفاق في سبيله، حرم عليهم أن يكنزوا أموالهم؟ وأوجب عليهم أن يحركوها. .المال يجب أن يكون في دورة مستمرة، في حركة. إذا عندك رصيد من الأموال لا تتركها تتراكم أموال هناك شغلها عندما تشغلها أنت تثمرها، وتشغل آخرين يعيشون معك فيها. هذه قضية هامة، ولهذا يأتي في كثير من الآيات بعبارة أموالكم: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾(البقرة: من الآية١٨٨) لأن حركة المال هي بالشكل الذي في الأخير يبدو وكأنه مال الأمة. تأخذ من هذه أهمية ما يسمى بالمال العام، الثروات، الواردات العامة، أنها هامة جداً جداً في مسألة تحسين معيشة الناس، هامة جداً؛ لأن النظرة الخاصة بالنسبة للمال ليست نظرة صحيحة من الناحية الاقتصادية، لا ينمو اقتصادك أنت، لا ينمو مالك أنت، سواء كان بشكل تجارة، أو بشكل زراعة إلا في إطار الحركة العامة للمال.

إذا سلم المال العام أمكن أن يكون هناك قدرة شرائية، وقدرة في مجال ماذا؟ حركة الناس، في تجارتهم وزراعتهم، فتنهض رؤوس الأموال، تنهض الأموال، وتكثر الأموال. إذا هناك اختلاس للأموال العامة تأتي كثير من الأعباء، تضاف على الأموال الخاصة، تَضْعُف قدرة الناس الشرائية، وفي الأخير لا تدري وصاحب الدكان عاطل عن العمل لا يوجد بيع وشراء، ذلك المزارع زرع وسقى وتعب وحصد، أو جنى ثمار مزرعته، وصل وإذا السوق كساد؛ لأنه يحصل كثيرٌ من الأعباء، ولهذا هم يعملون جُرع التي يسمونها [جرع اقتصادية]. أليست أعباء على الناس أنفسهم؟ كان المفروض الجُرع الاقتصادية تكون على المسئولين الكبار هم، الذين عندهم رؤوس أموال كبيرة، هم من بحاجة إلى أن يتقشفوا قليلاً، يخففوا قليلاً، وليس أن يضيفوا. إذا هناك ديون.. ديون على بعض البلدان تراه في الأخير يتحول إلى زيادة في الأسعار. ثم لا تدري والحاجة قدفيها زيادة مائة ريال، لا تدري وفيها مائتين ريال، لا تدري وفيها زيادة بنسبة ١٠٠٪ أو أكثر.

أليست ستضعف قدرة الناس الشرائية، ويصبحون في عذاب من الغلاء؟ لأن هناك تلاعُب بالأموال العامة وإلا فالأموال العامة نفسها، واردات أي بلد وهذا من الأشياء الغريبة جداً في البلاد العربية بالذات، تجد بلداناً فيها ثروات هائلة جداً، وعليها ديون كثيرة جداً! عليها ديون كثيرة بالمليارات مليارات الدولارات لاحظ كيف ثرواتنا ليست بالشكل الذي يمكن أن يكفي حاجاتنا؟ لا يوجد ناس يعرفون كيف يخططون حتى يستطيع أي شعب بأن ينهض بنفسه دون أن يتحمل ديون مليارات الدولارات، اليمن نفسه يقولون عليه حوالي ثمانية مليارات دولار دين! العراق كان عليه ما يقارب أربعين مليار دولار! وعنده احتياطي نفط.. عنده نفط كبير جداً، عنده ثروات كبيرة جداً!.

يوجد خلل بالنظام بشكل عام، في النظام الإداري، في التوظيف، خلل في التخطيط، خلل في استغلال الخيرات، خلل كبير في التعامل مع الله؛ ولهذا تجد الناس ثرواتهم لم تعد تشكل شيئاً. ألم نصبح نحن عالة تقريباً في مأكلنا، في ملبسنا على الآخرين؟! حتى البلدان التي لديها ثروات هامة أصبحت عالة على الآخرين! مأكلنا، ملبسنا، أدويتنا، الوسائل الضرورية والكمالية كلها من عند الآخرين من الخارج. ومع هذا تجد ديوناً كبيرة! وثرواتنا أين؟ الثروة البحرية بالنسبة لليمن لوحدها؟ ثروة البحر تكفي اليمن وحدها، الثروة الهائلة في البحر، ساحل طويل عريض حوالي ألفين كيلو، البحر الأحمر، والبحر العربي خلّ عنك البترول والمعادن، وواردات كثيرة.

في مجال التقاضي قد يكون طبيعي الناس يختلفون، اختلاف التباس، مثلاً أنت تعتقد أن هذا لك والآخر يقول: ليس لك إنه له. هذا طبيعي أن يتقاضى الناس، ويتحاكموا على هذا النحو، يعني: الالتزام بأن لا أحد يقدم رشوة، أما أن تأتي أنت تحاول أن تدّعي، وتظن بأنه فرصة عندما تسمع أن فلان ليس معه [وثيقة] على تلك الحاجة التي هو ثابت عليها، فتحاول بأي طريقة أن تأخذ أمواله، وأنت تدري بأنها ـ على أقل تقدير ـ أنت تعلم بأنها ليست لك سواء تعلم أنها له أو ليست له، أنت تعلم أنها ليست لك، لأنه لا يجوز، لا يجوز أن تحاول ببصيرتك بذكائك وبخبرتك ؛ لأن قد أصبح عندك خبرة من خلال أنك كنت بصير تشاجر وقد عندك خبرة كيف تقدم دعاوي ووثائق وأشياء من هذه، هذا لا يجوز أبداً.

البعض عندما يعرف أن من الحق له أنه ليس لديه خِبرة يشاجر، فيدفع به هذا إلى أن يبحث لشهايد ولو كانت زوراً، أو أحياناً يحلف يميناً فاجرة! هذه خسارة كبيرة، وهذه من الكبائر شهادة الزور، واليمين الفاجرة. يتقاضى الناس بسهولة، يتشاجروا بسهولة، وهم إخوان، ويقتنعوا من أول يوم، ادّعى وجوّب، وقدّم ما عنده له شيء.. اقتنع، الله لن يربط رزقك بتلك الخصلة، أو يربط حياتك بها، أو يربط عزتك بها، أو يربط كل أمورك بها، ربما لو كان في واقع الحال أنت مظلوم فيها أن الله قد يعوضك.

أحياناً بعضنا قد يغلطون في موضوع التقاضي، يتحول إلى عداوة بين الأسرة وبين المتشاجرين أنفسهم، ثم بين أولادهم وأقاربهم، وفي الأخير لا تدري إلا وقد هناك عدوات بأكثر من القضية، تكون القضية لم تعد تقريباً في الذهنية، قد هناك أشياء كثيرة، وقد هناك كلام، وقد هناك اتهامات، يصبحون أعداء، قلوبهم مليئة بالعداوة والبغضاء لبعضهم البعض.

الرشوة هي تفسد الحكام، خطورتها قد تفسد الحكام. إذا الحاكم لا يأخذ شيئاً لا من عندك، ولا من عند ذاك ما هو الذي سيدفعه أن يحاول يحكم حكماً باطلاً؟ أليست المسألة هنا ستدفعه إلى أنه يحاول يحكم بما رآه من وجه الحق؟ لكن إذا قد هناك رشوة تفسده، .وخاصة إذا كان لديه أيضاً زوجة في البيت تريد عندما سمعت أنهم قد عينوه حاكماً في مديرية كذا قد معها طلبات، قد هي تريد أثاث، قد هي تريد أن يشتري لهم سيارة جديدة، وقد هي تريد يبني لهم طابق فوق البيت، أو قد هي تريد بيتاً جديداً هناك يكون مثل بيت آل فلان، ويكون مع الحاكم ضغط داخلي من السهل معه أن يفسد ولو بدا في الصورة بأنه ملتزم لكن رأى مبالغ من خمسين ألف، مائة ألف، لا تدري وقد أفسدوه نهائياً، ضغط من داخل بيته، وقلة إيمان في نفسه، وعمل المتشاجرين، رشاوى، ﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(البقرة: من الآية١٨٨).

يأتي شيء آخر فيما يتعلق .. ـ هذا مع سعة الموضوع هنا ـ تشريعات متعددة .. توجيهات متعددة، كلها في قائمة هدى الله ، توجيهات تربوية بالنسبة للناس في موضوع الأسئلة، و التساؤلات وأشياء من هذه قضايا قد تكون لست بحاجة إلى أن تسأل عنها مثل قضايا عامة قد تصل إليها من خلال القرآن الكريم مثلاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ (المائدة: من الآية١٠١).

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾(البقرة: من الآية١٨٩). أليس هذا سؤالاً جديداً؟ هل هي قضية هامة بالنسبة للأهلة يعني لماذا الهلال هكذا معقوفاً؟ ولماذا كل شهر معه هلال معقوف؟ هم عارفون فيما يتعلق بالفائدة من الهلال هو أنه ماذا؟ مواقيت للناس، بداية الشهر، قضية معروفة عندهم. .السؤال عن: لماذا الهلال بهذا الشكل؟ هذه قضية ليس الناس بحاجة إليها في نفس الوقت. القرآن الكريم، رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هي قضية هامة هو سيتحدث عنها، ..يقبلوا الحاصل، يتفهموا الحاصل (وكثّر خيرهم) بدل البحث عن أشياء أخرى.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾(البقرة: من الآية١٨٩) كيف كانت الإجابة؟ ألم ينصرف عن الإجابة التي يريدونها هم؟ ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾(البقرة: من الآية١٨٩) هدى الله سبحانه وتعالى يُقَدَّم بالشكل الذي يكون واسعاً جداً المطلوب هو أن تتفهم، ولأنه قضية معينة، قد تكون في مرحلة معينة، في وقت معين ليست هامة، متى ما أصبحت هامة سيأتي بيانها، سيبينها. التساؤلات.. عندما يعود الإنسان نفسيته على التساؤلات، لا. عود نفسك على أن تتفهم أكثر، وتصغي أكثر، وتسمع أكثر.

لاحظ كيف الآيات تختم كثيراً منها بكلمة: تعقلون. تفقهون. تذّكرون. تُبصرون. تسمعون هكذا لا يوجد [لعلكم تسألون، لعلكم تتساءلون]، لا يوجد [لعلكم تناقشون، لعلكم تجادلون]؛ لأن الله سبحانه وتعالى أعطى الناس هدى واسعاً، والإنسان إذا لم يعود نفسه على هذه الحالة، على أن يعقل، يفقه، يفهم، يصغي، يكون البديل عن هذا روحية تساؤل، روحية تساؤل، فتكون هذه في الأخير بالشكل الذي تضرب نفسيته ، فيجهل أشياء كثيرة هي هامة وهو باحث بعد تساؤلات هي لا تشكل قضية في الواقع.

مثلاً لاحظ عندما تأتي إلى ما حصل ممن يتساءلون: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ﴾(البقرة: من الآية١٨٩) لو أنهم ركزوا بشكل كبير [يوم الغدير] عندما قال لهم: ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه)) فرفضوا أي شخص يحاول أن يقفز على ولاية أمر الأمة غير من عينة الرسول؛ لأنهم فاهمون، فاهمون أهمية الموضوع، متعودون من قبل على أن يركزوا على ماذا؟ أن يتفهموا، يصغوا، يعقلوا، يتذكروا؛ لكانوا أسلموا الأمة الحالة السيئة التي وصلت فيها، والضلال الكبير بدلاً عن السؤال عن الأهلة! نسألهم لماذا لم تفهموا بالشكل المطلوب؟ وتستقيموا وتثبتوا على التوجيه الذي قدم لكم على أعلى مستوى عندما عاد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) من الحج؟.

قضية ثابتة ومعروفة عند الناس صعد من فوق أقتاب الإبل ويرفع يد الإمام علي وبعد خطبة طويلة: ((أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه)). هذه هي القضية الهامة التي لو فهموها، أهم من أن يعرف الهلال لماذا هو معقوف؟ أليسوا هنا جعلوا الأمة معقوفة؟ ضعفت الأمة، ضعفت، ضعفت إلى أن تحولت مثل الهلال المعقوف، كان المفروض أن يتفهموا بدلاً من أن يشغلوا ذهنيتهم عن الأهلة. ولأن من المعلوم أن هداة الناس يكونون حريصين على الناس أكثر من أنفسهم، حريصين على أن يتفهموا أكثر، وأن يعرفوا أكثر، وأن يستبصروا أكثر، أكثر من أنفسهم هم.؛ لأنه ما هي الإشكالية التي حصلت عند بني إسرائيل؟ ألم يكن هناك هدى بالشكل الذي يغطي كل الأشياء التي في أذهانهم، !الخلل جاء من عندهم هم؛ روحية التساؤلات [ما لونها] وأشياء من هذه، ضيعتهم في الأخير، تساؤلات حتى عن أصحاب الكهف، كم هم؟ هل ثلاثة رابعهم كلبهم، أو خمسة سادسهم كلبهم، وهكذا؟!.

الإنسان يعود نفسه بعد أن يفهم يعني: يجب أن تفهم أنت منهجية المعرفة، لا تعتقد أن المعرفة معناها: أنه في يوم واحد، أو في شهر واحد، شهر واحد يجب أن تعرف كل شيء، هذه المنهجية غير صحيحة حتى من الناحية العلمية السائدة الآن في الدنيا: أن أهم مصدر في المعرفة هو ما يسمى بالبحث العلمي أن المعرفة تأتي ضمن مسيرة، ضمن حركة، تأتي المعرفة بهذا الشكل. .فعندما تتسع دائرة مهام الناس، تتسع ماذا؟ شعورهم بأنهم بحاجة إلى هذا، وبحاجة إلى معرفة هذا، فيكونون أقرب إلى أن يعرفوه وتكون معرفتهم له بالشكل الذي يستطيعون أن يستفيدوا من خلال معرفتهم له، فتنموا معرفتهم في نفس الوقت، أما مجرد أنك تريد تعرف كل شيء، كل شيء.. كل شيء في شهر واحد هذا لا يحصل ولا للأنبياء أنفسهم لماذا؟ لأنه ليست هذه الطريقة الطبيعية للمعرفة.

هنا في البلدان العربية قد يكون مثلاً في بعض المناهج، أو حتى كتب في المكتبات تتحدث معك عن القمر، وعن الفضاء، وعن الأشياء هذه، لكن أنت تقرؤها.. ما الذي ستستفيد منها في الأخير؟ بينما الآخرون؛ هي نتائج من بحثهم العلمي، من معارفهم العملية. أليست هي نتيجة أعمال؟ أو فقط مجرد نظريات هناك؟ ما الذي أوصلهم إلى أن يصلوا إلى الحالة هذه؟ أنهم يفكرون أن يسافروا إلى الكواكب وإلى القمر؟ مهام عملية مهام عملية تتوسع دائرة مهامهم، شؤونهم كدولة، قضايا الصراع مع الآخرين، .تطورهم العلمي هنا جعلهم يفكرون عملياً بأنه يستخدموا أشياء أخرى، أو يستفيدوا من أشياء أخرى. فعندما يطلعون إلى الفضاء، لا يطلعون رحلة فقط، لأجل يعرفوا القمر، هل هي مكوراً أو هي تضيء هي، أو هي تضيء من هناك! مهام عملية، بحث. ولهذا يقول البعض: بأن أول فكرة لديهم في أن يطلعوا الفضاء كان منشؤها أثناء الصراع بينهم وبين [الإتحاد السوفيتي] ودول أخرى أنه إذا بالإمكان أن تكون منصة لإطلاق الصواريخ إلى الأرض. هذا أول دافع، أليس دافعاً عملياً؟.

إذن فهذه هي قضية أساسية في المعرفة، ومتى ما جاء الشيء في وقته، متى ما جاء الشيء ممتزج بروح عملية، وتحرك عملي، يكون بالشكل الذي يفيد معارفاً هو، إذا كان مجرد نظرية سيبقى مجرد نظرية لا تستطيع أن

تتوسع فيها حتى. أنت عندما تقرأ هنا عن الفضاء وعن صعود الأمريكيين أو السوفييت إلى المريخ أو إلى القمر، أنت عندما تقرأ هنا عن الفضاء، وعن صعود الأمريكيين، أو السوفييت إلى المريخ، أو إلى القمر هل تستطيع أن تزيد في النظرية هذه؟ أو تنتظر فقط ما يأتي من جانبهم من خلال ماذا؟ اكتشافاتهم هم التي هي عملية، أليست عملية؟ تنظر فيها ولا تستطيع تزيد ولا أطروحة واحدة، تقرأ، وتتجادل أنت والآخرون فقط، جَدَل وأَخْذ ورَدّ وترديد في تلك الدائرة، لن تستطيع أن تزيد ولا تنقص لماذا؟ لأنه هذا الموضوع أنت بعيد عنه ليس لك علاقة به، ليس لك علاقة عملية به يعني: ـ في واقعك، في حركتك ـ بالشكل الذي تتحرك فيه، وبالشكل الذي تعرف أنت من خلال عملك، ولا تنتظر فقط ما سيأتي من عند الآخرين، عندما يرحلون مرة ثانية، ومرة ثالثة، وهكذا.

العبارة هنا تبدو مقدمة، وفيها نوع ما يسمى: الاستخفاف بالقضية هذه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾(البقرة: من الآية١٨٩)

يعني:: ليست قضية في الواقع هذه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾(البقرة: من الآية١٨٩) القاعدة من أساسها لا تعني: بأن الله لا يريد للناس أن يعلموا، إنما كيف يعرفون (أن يعرفوا)؟، أن يتعلموا (كيف يتعلمون) ،أن يعرفوا أن للمعرفة منهجية، أن تكون مرتبطة بحركتهم العملية، تتوسع معارفهم، وتتوسع مهامهم، تستوعب ربما أكثر مما استوعبه الآخرون، ألم تصل معارفهم إلى أن يستفيدوا من الشمس، يستفيدوا منها ويحولوها إلى طاقة تغذي المركبات الفضائية والأقمار وتغذي حتى المنازل؟ الطاقة الكهربائية.. حولوا الأشعة نفسها إلى طاقة كهربائية.

هم يتساءلون عن أشياء، هم ليسوا في حاجة إليها، وهم في الواقع لديهم ممارسات غريبة؛ فعندما يعود من الحج يأتي بيته من فوق! لا أدري من أين جاءت لهم هذه؟! يعني: كيف منشأها؟ لا يدخل من الباب. ما كان من المفروض على الأقل إذا كان سيسأل يسأل هل ندخل من الباب؟ طبيعي سهل ندخل من الباب أو ضروري ندخل من فوق البيت؟ (ما هي الأهلة؟)وأنت لازلت تدخل من فوق البيت عندما تعود من الحج!

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾(البقرة: من الآية١٨٩) هنا يبين كمنهجية للناس يعني: أنت مرشد، أو معلم، أو حتى مناظر، أو في حوار مع آخرين، لا يكن معناه أن موقفك أنه: أنه يسأل وأنت تجاوب على كل قضية بالتحديد، ومقارعة التي يسمونها: مقارعة الحجة بالحجة كذا. لا. قد يكون الموضوع، لا. اصرفه ليست قضية. هل كانت الإجابة من جانب رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أن يأتي إلى الأهلة، كيف يصل الهلال إلى أن يصبح هلال؟ أو انصرف عن الموضوع إلى ما هو عملي، وإلى ما هم بحاجة إلى معرفته، (مواقيت للناس والحج) وهم عارفون له من قبل: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾(البقرة: من الآية١٨٩) أليست هذه معناها عملية صَرْف؟ انصراف عن أسئلة من هذا النوع.

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(البقرة: من الآية١٨٩) ربما عندهم أنها مندوبة، أو عندهم أشياء من هذه. ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾(البقرة: من الآية١٨٩) عندما تعود من الحج ادخل من الباب.

إذن لاحظ هنا فيها أدب في موضوع التساؤلات؛ يرشد الناس إلى الطريقة الصحيحة للمعرفة. وقد تكون الآية هذه لها علاقة أخرى باعتبارها أيضاً موجهة من الناحية السلوكية أنه: (غير طبيعي أنك تأتي البيت من فوق! ادخل من الباب): ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾(البقرة: من الآية١٨٩) تجد الاستفادة مما تعني هذه: تأتي المعرفة والمعارف والهدى من أبوابها؛ لأن كل شيء له باب.. كل شيء له باب. أليس الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) مثّل نفسه وعلمه بـ(مدينة)، وجعل باب هذه المدينة هو مَن؟ علي؛ (أنا مدينة العلم وعليّ بابها). حتى أصبحت مسألة الأبواب عناوين، أليست عناوين داخل الكتب؟ (بابٌ) يعني: باب للدخول إلى معرفةٍ ما داخل الصفحات هذه. كل شيء له باب؛ فالمعرفة من حيث هي لها أبواب، أي أن الله فيما هدانا إليه، هدانا إلى أن نعرف المنهجية الصحيحة للحصول على المعرفة.

عندما تأتي للقضية من أساسها بالنسبة لهدى الله أنها ماذا؟ (هدى الله) ليس مجرد نظريات ولا حتى مجرد فتاوى! إنما هو ماذا؟ حركة حياة، هدى عملي، هدى حركي. الآخرون ترسخت عندهم القضية هذه أكثر منا

بكثير، حتى أصبحت مسألة أن يكون هناك حرب فرصة عندهم، فرصة لأن يعرفوا كثيراً من الخبرات، ويجربوا كثيراً من الأسلحة، ويعرفوا ما يمكن أن يطوّروه، ويعرفوا نجاح ما قد ابتكروه، ويعرفوا.. خبرات عالية. عندهم فرصة لماذا؟ لأن الميدان العملي هو المصدر الحقيقي والصحيح لإعطاء المعارف. أليس هؤلاء يخافون من الحرب؟ بينما الآخرون يقولون عندهم فيما يتعلق بالحرب: أنها فرصة للحصول على كثير من الخبرات في المجال العسكري، وفي مجال الآليات والأسلحة في الحرب.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(البقرة:١٩٠). من نعمة الله على الناس ألّا يكونوا في حالة فراغ يحول بينهم وبين المعرفة، يكونوا منشغلين بقضايا هامشية! الناس يُقَدَّم لهم قضية كبيرة، قضية كبيرة في عنوانها (القتال في سبيل الله.. الجهاد في سبيل الله.. العمل لإعلاء كلمة الله). هذه القضية مهمة جداً في مجال المعرفة، في مجال معرفة الله بالذات، هامة جداً، في مجال المعرفة في كثير من الأشياء التي يجب أن يعملها الناس فتُبنى الحياة بكلها. لا يعيش في حالة فراغ؛ إذا عاش الإنسان في حالة فراغ يكون في الأخير يكون بالشكل هذا: أسئلة هامشية، اهتمام بقضايا لا تمثل شيئاً! إذا حمل الناس اهتماماً كبيراً وقضية كبيرة، استغرقت ذهنياتهم واستغرقت اهتمامهم، فترفّعوا عن الأشياء هذه التي لا تفيد في نفس الوقت، الأشياء الهامشية في الأسئلة أو في الاهتمامات.

عندما يكون الناس عندهم اهتمام فيما يتعلق بالعمل في سبيل الله ستجد أثر هذه عليهم هم فيما يتعلق بقضاياهم الخاصة؛ فإذا حصل نزاع فيما بينهم يكونون قريبين إلى أن يحلوا مشكلتهم بسرعة. فإذا الناس في حالة فراغ، ليس عندهم أي اهتمام؛ سيظلون يتشاجرون بعضهم عشر سنين وهم متشاجرون، طالع ونازل، أو كل يوم أو كل أسبوع إلى المحكمة سنين، ومستعد يشاجر عمره! قضية قد تكون في الأخير لا تساوي ما يضيعه من وقت، هذا الذي يشاجر عليه، لماذا؟ لأنه فارغ. فعندما يكون الناس فارغين تجد أنه في الواقع يحصل فيما بينهم كثير من الخلاف والشقاق، والكثير .. الكثير! وإذا بدتْ مشكلة ظلّتْ مشكلة سنين، وتترك آثارها السيئة في وسطهم؛ تُمَزّق صفهم، تفسد ذات بينهم. إذا هناك اهتمام بقضية كبيرة تُبعد الناس عن الأشياء هذه التي تفسد ذات البين، وفي نفس الوقت إذا ما طرأت مشكلة يكونون قريبين لحلها؛ لأنهم مشغولون، لا يريد أن تشغلهم القضية هذه، يقنع منك بيمين فقط، أو من أول جلسة.. من أول جلسة أنت قدمتَ ما عندك، وهو قدم ما عنده، وحكم بينكم الحاكم ومع السلامة، وتمشون سوياً في القضية الهامة التي هي مسؤولية عليكم جميعاً.

في نفس الوقت؛ في حالة الفراغ تكون حالة يترسخ فيها الجهل في الناس، مواهبهم تُسخّر كلها للأشياء الهامشية! ذكي وعنده بصيرة وعنده منطق، لكنْ.. مُسَخَّر بكله وضيّع كل هذه القدرات هذه على قطعة بسيطة من الأرض أو على مشرب! ضيّع كل ذكائه وموهبته وقدرته البيانية! أليست هذه تعتبر خسارة؟!. لاحظ الآية هنا ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾(البقرة: من الآية١٩٠) أنت متجه للقتال في سبيل الله، وتحمل القضية هذه الكبيرة.. كبيرة في الذهنية؛ لأن الإنسان بحاجة إلى قضية تملأ ذهنيته، هي قضية إيجابية كبيرة، يعني لها أثرها الكبير فيما يتعلق بحياته في الدنيا وفي الآخرة، يحصل على رضوان الله، يحصل على الجنة التي هي أرقى نعيم. هو بحاجة إلى قضية من هذا النوع، وهي في واقعها العملي ـ بتأييد الله.. التسهيلات التي تأتي من جهة الله، بالاستعانة بالله ـ تمشي.

هذه من الأشياء الدقيقة جداً في مجال هدى الله؛ تبدو قضية تملأ ذهنيتك، أنت بحاجة إلى هذا، والأمة بحاجة إلى هذا، وتصبح نفوسكم كبيرة، أصحاب اهتمامات كبيرة، وتصبح طاقاتكم كلها فاعلة لها أثرها، ميدان كبير يُشغّلونها فيه. ووراءها إيجابيات كبيرة، وراءها خير لهم في الدنيا وفي الآخرة، كما سيأتي بعد في موضوع الجهاد: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(التوبة: من الآية٤١) ولم يتركها في المجال العملي كبيرة كما هي في الواقع الذهني؛ لأنه يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾(الحج: من الآية٤٠)، ﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾(محمد: من الآية٣٥) يحصل تأييد.

فهذه لها علاقة بموضوع أن ترفع الإنسان عن حالة التساؤلات والتركيز على قضايا يستحسنها هي هامشية؛ (أنه يأتي البيت من فوقه لا يأتيه من الباب)! يُنقل إلى قضايا تجعل اهتمامه كبيراً، وتجعله بعيداً عن الحالات هذه الهامشية والقضايا الهامشية في تساؤلاتهم أو في سلوكياتهم.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(البقرة:١٩٠) كثيرٌ مما تعنيه كلمة (اعتداء) هنا: فيما يتعلق بالأشهر الحرم؛ ولذا جاء بعدها الحديث عن الأشهر الحرم. فمعروف عند العرب مسألة أنه اعتدى: أي ماذا؟ تجاوز أو انتهك حرمة الشهر الحرام.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هذه قضية هامة، وقضية مؤكّد عليها في القرآن الكريم بشكل كبير: أن يكون الناس ـ كلما يدخلون في صراع ـ أن يدخلوا فيه على أساس هدي الله، وأن يكون في سبيله، على الطريق التي رسمها، ومن أجله، وله.

هذه القضية هامة حتى فيما يتعلق بالدفاع عن الأوطان. تحدثنا سابقاً عنها: أنها قضية يجب أن تكون هي القضية الرئيسية عندك حتى وأنت تدافع عن بيتك، أن القضية الأساسية أن يكون الناس مقاتلين (في سبيل الله)، إذا كانوا (في سبيل الله) يكون تحرير أوطانهم قضية ثانوية يعني: تتحقق تلقائياً.. تتحقق تلقائياً، صيانة أعراضهم.. صيانة ممتلكاتهم تتحقق تلقائياً. لكن متى ما عكسوا المسألة: يقاتل (من أجل الوطن) بالعبارة هذه! وهو المنطق الذي استمر عليه العرب فترة طويلة؛ ترسيخ الوطنية، والقومية، والعناوين هذه. في الأخير خسروا فعلاً، ما حققت لهم شيئاً، ولا استطاعوا أن يحققوا شيئاً في مواجهة العدو باسم أنه: (لن نسمح بأن يَحتل)، أو (سنعمل على أن نحرر كل شبر في الأرض المحتلة). وتربية للجيش تربية وطنية بحتة؛ (من أجل الوطن.. من أجل الوطن.. من أجل الوطن..)! هذه.. بدتْ المسألة بأنها ليس لها قيمة في الواقع، وجدنا ممن يهتفون بهذه هم ممن يبيعون الأوطان فعلاً.. ممن يبيعون الأوطان.

الناس الذين يتجهون في سبيل الله ومن أجل الله، هم الناس الذين تعتبر الأوطان غالية لديهم، وتعتبر الأعراض عزيزة لديهم، وتعتبر الممتلكات هامة لديهم. فعندما ينطلقون في سبيل الله لا يعني بأنهم لا يبالون بالوطن، أو أنها على حساب الوطن أو حساب الأعراض، أو حساب الناس أبداً!

هذا توجيه إلهيّ؛ لأنَّ الله جعل دينه للناس.. للناس. فعندما يقاتلون في سبيله، أنت في نفس الوقت تكون مستعداً أن تضحّي بنفسك ومالك، فهل يمكن أن نصل إلى هذه الحالة من أجل التربة ومن أجل الآخرين؟ خاصة عندما يصل الناس في العلاقة فيما بينهم إلى هذه الدرجة التي الناس عليها.

لاحظ الناس وهم في الأسواق، لاحظ الناس وهم في حركتهم، هل تلمس احتراماً متبادلاً بينهم؟ هل تلمس بأنه هذا فعلاً ممكن أن يصل إلى درجة أن يضحي بنفسه وماله من أجل ذاك؟ أبداً. فسدت العلاقات فيما بين الناس، وأصبحوا في حالة لم يعد أحد يهتم بالآخر ولا يحترم الآخر ولا يبالي بالآخر؛ فغير متوقع أن يأتي أحد من الناس يضحي وهو يحمل هذا العنوان فقط (وطن)! بمعنى أنه ماذا؟ أنه يضحي من أجل (التربة)! أليس البعض يحلف يمين فاجرة من أجل التربة حتى لا يترك الآخر يأخذها.. صاحبه!؟، هل سيضحي بدمه من أجل تربة الآخر؟ لا ترتقي هذه القضية بالناس أبداً إلى درجة أن يضحوا بأنفسهم وأموالهم تضحية حقيقية، لا تصل إلى الدرجة هذه.

لكن متى ما انطلقوا في سبيل الله هذه هي القضية الهامة، تعتبرها تستحق أن تضحي بمالك وتضحي بنفسك من أجل الله، وعلى طريقه ـ في نفس الوقت ـ طريقه التي رسمها في مجال الصراع مع الآخر، وهي الطريقة الوحيدة التي يكون الله مع الناس إذا ما ساروا عليها، والمقصد الوحيد الذي يكون الله مع الناس إذا ما توجهوا إليه؛ (أن يكون من أجل الله ولله). فهؤلاء سيكونون هم من يحررون الأوطان ومن يصونون الأعراض ويصونون الممتلكات هم، أما الآخرون فيقول بعضهم وهو في المعسكرات: (وطنية.. وطنية.. وطنية..)، وقد صار في موقع قيادة؛ يأتي الأمريكيون يشترونه شراء! وفي الأخير يبيع الأمة و(الوطن)! هذا يحصل.

وجّه المسلمين ألّا يكون عندهم (اعتداء)، أن يراعوا حرمات الشهر الحرام. لكنْ لم تكن حرمة الشهر الحرام بالشكل الذي يُفسح للآخر أن يعتدي عليك وأنت تسكت! لا؛ ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى

﴿عَلَيْكُمْ﴾(البقرة: من الآية١٩٤) هذه تعتبر دليلاً على أن الله سبحانه وتعالى في تشريعه لا يجعل شيئاً يحول دون القيام بالشيء الآخر. لا يحصل تصادم؛ يجعل هذا شهراً حراماً، و(حرام..) والطرف الآخر الذي لا يحترم الحرمات ولا يقدر الحرمات ينتهكها وأنت تكون ملزم بألّا تردّ! أليست هي تعتبر فرصة له لأن يضربك وينهيك وينهي دينك؟ لا؛ ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ أعطاك فسحة بأن تواجهه وأن تقاتله.

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾(البقرة: من الآية١٩١) حتى وإن كان في الشهر الحرام، عندما يكونون هم المعتدين.. هم المقاتلين، ويريدون أن يستغلوها فرصة بأنهم سينتهكون الحرمات، وعندهم أنكم ناس ملتزمين. أحياناً يكون العدو يعرف.. يعرف بأن ذلك الطرف ملتزم ومتدين ولا يمكن أن يحصل من جانبه ردة فعل.. لن يواجهه!

كان المشركون في جوار بيت الله الحرام يعذبون المسلمين ليفتنوهم عن دينهم، يعذبونه ليحملوه على أن يكفر بدين الله! فهي أشد من القتل. فعندما يقولون: لماذا أنتم تنتهكون الحرمات؟ لأنه هكذا يحصل؛ (لماذا؟ ألست متديناً! وتنتهك الحرمة؟)! أنت انتهكت أنت ما هو أشد من القتل؛ انتهكت حرمة المسجد الحرام والمشاعر المقدسة أنت بما هو أشد من القتل.

﴿ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾(البقرة: من الآية١٩١) هذه تؤكد على أن حرمة الأشهر الحرم لا تزال باقية، ليس صحيحاً عندما يقول لك أحد من الناس: (منسوخة.. منسوخة)! أبداً، قضية أساسية وكأنها في مسيرة الدين بكلها، لهذا حكى الله في آية أخرى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾(التوبة: من الآية٣٦) (.. مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ) أربعة أشهر حرم هي: رجب، والقعدة، والحجة، ومحرم؛ لأن هذه جعلها الله للناس بحيث لا تخرب الأرض نفسها، ويتفادى الناس تماماً فيما بينهم حروباً (على طول.. على طول..)! ما هناك ولا أي توقف! أربعة أشهر يجب أن يتوقف الناس فيها، هذه الأربعة مرتبطة أيضاً فيما يتعلق بالبيت الحرام.. أيضاً هي مرتبطة فيما يتعلق ببيت الله الحرام وعملية الحج.. حج الناس وعودتهم من الحج. هي قضية معروفة عند البشر من قبل الإسلام، لكن يأتي من بعد الإسلام ناس يقولون: (منسوخة)! بعض الفقهاء الذين يبحثون، أو المفسرون يأتي يقول لك: (إن رسول الله قاتل فيها)، عندما يقاتل هو على هذا الأساس؛ لأنهم قاتلوه.. لأنهم قاتلوه سيقاتلهم ولو في الشهر الحرام، ولو عند المسجد الحرام، وهم (يقاتلوكم فيه) لاحظ هنا: (فيه).

حرمة المسجد الحرام كبيرة جداً، وحرمة الشهر الحرام عظيمة، لكن إذا كان الطرف الآخر يريد أن يستغلها، لا؛ قاتله أنت وهو الذي يتحمل المسؤولية، هو الذي انتهك هو حرمة الشهر الحرام والمكان الحرام، عندما قال هناك: ﴿وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾(البقرة: من الآية١٩١) عندما تكونون حُجاجاً وأتوا يقاتلونكم فيه؛ هنا تردّ.

﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾(البقرة: من الآية١٩١-١٩٣). فمن حيث المبدأ.. من حيث المبدأ يجب أن تكونوا فاهمين أن تُعدّوا أنفسكم لقتالهم حتى لا تكون فتنة فيتمادوا في طريقتهم السابقة في أن يفتنوا الناس عن دين الله ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾(البقرة: من الآية١٩٣). هذه هي عامة، ليست مرتبطة بمكان محدد، توجيه المسلمين بشكل عام أن يقاتلوا، أن يقاتلوا الآخرين؛ لأنه عادة الآخرون هم يُعدّون أنفسهم ويتحركون لقتال المسلمين.

﴿حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾(البقرة: من الآية١٩٣) لاحظ هنا كيف يؤكد فيما يتعلق بالغاية، فيما يتعلق بتوجهك أنت وأنت تقاتل؛ أنه من أجل ألّا يتمكن هؤلاء من صدّ الناس عن دين الله وفتنتهم، وفي نفس الوقت ليكون الدين لله، نفس العبارة السابقة (في سبيل الله) تشبهها. ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾(البقرة: من الآية١٩٣). فلا يحصل منكم اعتداء إلا على من ظلموا بأن قاتلوا في الشهر الحرام أو قاتلوكم عند المسجد الحرام فاقتلوهم.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(البقرة:١٩٤) كأن هذه لا تعني بأنه مرتبط بشهر معين؛ فإذا قاتلوك في رجب وأنت لم تتمكن أن تقاتل في رجب، و تتمكن أن تقاتل في القعدة أو تقاتل في شهر من الأشهر الحرم؛ فـ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ وهذا معناها ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(البقرة:١٩٤). اتقوا الله لا يحصل من جانبكم اعتداء.. انتهاك من جانبكم أنتم ابتداء، وليس هناك ما يوجب له؛ فتنتهكوا حرمة الشهر الحرام وحرمة المسجد الحرام، يجب أن تتقوا الله، وتتقوا أيضاً (تكونوا على حالة تقوى وحذر) من الآخر من أن يستغل فرصة كهذه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(البقرة: من الآية١٩٥) هذا الكلام السابق أليس حول الجهاد؟ وحول القتال؟ شيء طبيعي بأن القتال يحتاج إلى تمويل، التمويل من أين يأتي؟ هل وُجّه المسلمون إلى أن يبحثوا عن أطراف أخرى؟ إلى أن يتجهوا للفرس، أو إلى الروم، أو إلى أي دولة أخرى تساندهم؟ لا، لينطلقوا هم، المقاتلون أنفسهم.. المجتمع المسلم هو يموّل نفسه.

وهذه القضية هامة جداً، لا يقوم الدين إلا بها، لا يقوم الدين إلا على هذا الأساس: أن يكون هناك إنفاق، وأن يكون إنفاقاً من داخل نفس الذين هم يتحركون في القضية، أي: من داخل المجتمع المسلم نفسه المعنيّ أو الموجّه إليه هذه المسؤولية بأن يقاتل في سبيل الله؛ لأنه يحصل استقلالية للأمة، يمكنها أن تنهض بدين الله ولا تكونَ مدينة لأي طرف آخر نهائياً. لأن أي طرف آخر لا يقدّم شيئاً إلا بثمنه. ولها أثرها الكبير من الناحية النفسية بالنسبة للمجتمع المسلم وللأمة عندما تُبنى على هذا الأساس؛ تصبح أمة واثقة هي بنفسها، واثقة بدينها، واثقة بربها، واثقة بالمنهج الذي تسير عليه، هنا تستطيع هي أن تقوم بدين الله، وتستطيع أن تواجه أعداءها.

لكن إذا كانت القضية أنه: هم يبحثون عن مساعدات أخرى من خارج ـ لأنه عادة في مراحل الصراع قد يكون طرف من الأطراف في مصلحته أن يساعدك.. في مصلحته أن يساعدك؛ لأن له موقفاً من الطرف الذي أنت تقاتله ـ لكن هنا لها أثر سلبي كبير فيما يتعلق بنفسيات المسلمين المقاتلين والمجتمع بكله؛ سيعتبرون الانتصارات ومواقفهم القوية كلها بسبب الآخرين، والقضية هنا تقوم على أساس أنك أنت تكون متوجهاً إلى الله دائماً.. دائماً. ولهذا عندما تُنفق أنت تُنفق في سبيل الله، من أجل الله، وتقاتل من أجل الله، وتتلمّس النصر الذي هو من عند الله، فتكون مرتبطاً بالله، لا تجعل في الأخير سبب النصر وفضيلة الانتصارات بسبب الطرف الآخر الذي هو دولة أخرى أو جهة أخرى!

هنا لو يحصل موقف آخر؛ سوف تتلفّت من الذي يمكن أن يساعدك ولو على حساب أن تقدّم تنازلات من دينك، يأتي حالة أنت لا تجد فيها طرف يمكن أن يساعدك، تنهزم من أول يوم. مثلما حصل للعرب الآن، تلفّتوا الآن؛ بحثوا عن روسياً.. فرنسا.. الصين.. لم يعد هناك الاتحاد السوفيتي سابقاً؛ استسلموا من أول يوم! ألم يستسلموا من أول يوم؟

هذه عملية تربوية هامة جداً جداً: أن دين الله بنى الأمة بناءً باستقلالية، تكون هي معتمدة على الله فهي تنفق في سبيل الله، معتمدة على قدراتها، تطوّر هي قدراتها، انتصاراتها تحسب لها وتراها أنها من الله وليس من الطرف الآخر الذي ساندها. أمة على هذا النحو تستطيع باستمرار أن تكون متحركة، ولا أحد يستطيع أن يقهرها، ولا تكون مدينة لأي طرف في نفس الوقت.

من إيجابيات هذه التربية أنها لا تصبح مدينة لطرف آخر؛ لأن الدين هو مهمة عالمية، فهل من الناحية الأخلاقية، هل هو مقبول أن تأخذ من الفرس مساعدات لأنك تقاتل الروم؟ وأنت تعرف أن هذا الدين يجب أن يَدين به الفرس، ويجب أن تدعوهم إليه وتقاتلهم متى ما اتجهوا ليصدّوا عنه؟ سيكون معناه في الأخير: بأنه هذا الدين يمكن أن يخادع! تقول لطرف من الأطراف أن يساعدك ويعينك حتى تنتهي وتفرغ من قتال الطرف

الآخر، وفي الأخير ترجع عليه وقد أصبحت قوياً! هذه ليست أخلاقاً.. يعني ليست من أخلاق الدين، وليست قضية أخلاقية ولا من ناحية إنسانية.

فلأجل لا تكون الأمة مدينة لأي طرف آخر يجب أن يصل هذا الدين إليه.. ستصل إليه. أن يرى الآخر: أن الأمة هذه هي نفسها تستطيع أن تواجه، مواقفها قوية؛ فعندما تصل إليه أنت، لن ينظر إذا ما لديك طرف آخر. فيقيّم الوضعية؛ فإذا ما هناك طرف آخر يمكن يساندك، سيكون متجرئاً عليك! يعرف أنها أمة معتمدة على نفسها، وهي التي انتصرت على ذلك الطرف، وانتصرت على الطرف الآخر. فبالتأكيد سيكون هناك ـ فيما يتعلق بهذا الطرف الذي تصل إليه أنت بالدين ـ يحاول أنه لا يتجرأ عليك في نفس الوقت، ولا ينظر للأمة نظرة أنها في وضعية مستضعفة لأنه ليس هناك طرف آخر يساندها.

فهي حالة مهمة جداً جداً؛ ولهذا قلنا أنه: يجب أن يكون الناس في عملهم هذا ـ مهما كان عملاً بسيطاً.. مهما كان عملاً بسيطاً ـ يجب ألّا نتجاوز حدود تربية القرآن الكريم، حدود هدى الله لنا بأن نتحرك على أساسه. لا يوجد فكرة عندنا نحن بأن نحاول أن نحصل على مساعدات من أي طرف على الإطلاق! لا طرف داخلي ولا خارجي. ولأنه الناس عندما يتجهون إلى أن ينفقوا هم في سبيل الله، فإن الله يجعل فيها بركة.. يجعل فيها بركة، وفي نفس الوقت ترتفع معنوياتهم، وفي نفس الوقت ينشّدُّون إلى الله وتعظُم علاقتهم بالله؛ لأن الجهاد نفسه هو يعتبر من أهم الأشياء في مقام معرفة الله؛ لأن المجاهدين يكونون في حالة التجاء إلى الله، وبحاجة إلى نصر، بحاجة إلى تأييد، بحاجة إلى عون، بحاجة إلى كذا.. هم دائموا الالتجاء إلى الله، وهم يتلمسون في الميدان السند الإلهي والدعم الإلهي والتأييد الإلهي، فيعيشون في حالة قرب من الله. هذه الحالة تُنسف تماماً إذا ما كانوا ملتجئين إلى أطراف أخرى؛ إلى دولة أخرى، أو إلى أمة أخرى.

﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(البقرة: من الآية١٩٥) لأهمية الإنفاق في سبيل الله لتمويل العمل في مجال إعلاء كلمة الله.. مواجهة أعداء الله؛ إذا لم ينطلق الناس فيه، معناه: أنهم في الأخير سيُلقون بأيديهم إلى التهلكة. تلك الأيدي التي غُلّت.. لا تُنفِق، هي كأنها تمسك نفسها وترمي بنفسها إلى التهلكة. إما أن تترك يدك تنفق في سبيل الله، وإلا فهذه الأيدي.. هذه اليد نفسها هي التي ستهلكك. ولهذا قال: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(البقرة: من الآية١٩٥).

إما أن تلقي أنت أموالاً في سبيل الله، أو ستُلقي أنت أو الأمة هذه ستلقي بيدها إلى التهلكة.. تهلك. فإذا لم تنفق، تضرب حركتها، تُضعف مواجهتها، يتغلب عليها الأعداء فيهلكونها، قبل الهلكة التي تأتي من جهة الله سبحانه وتعالى، أشياء كثيرة في الدنيا، والهلكة في الآخرة. هل يمكن لأحد أن يعتبر آيات هامة كهذه ؟ آيات تعتبر أساسية في التوجيه، وتتناول مواضيع هامة جداً؛ الجهاد هام جداً، والجهاد يحتاج إلى تمويل عندما يأتي أحد يقول: (منسوخة)! هذا لا يمكن على الإطلاق ولا هو مقبول، هذه رؤية قاصرة جداً! يقول لك: (منسوخة)! الإنفاق في سبيل الله جعله الله سبحانه وتعالى بالشكل الذي يمكن للناس أن يعملوه في كل الظروف؛ لأنه هناك أيضاً من جهة الله هو يعمل أشياء كثيرة. لا نقلْ: (نحن ليس لدينا أشياء كثيرة حتى ننفق.. ليس رأس مال كل واحد منا مليون دولار حتى ينفق)! لينفقْ كل واحد بقدر استطاعته، وعملية مستمرة. ثم إنه يوجه إلى قضية هي هامة جداً: بأن تكون موجهة إلى الناس جميعاً.. إلى الناس جميعاً. ليست مسؤولية طرف معين! إلى الناس جميعاً. عندما يكون كل إنسان ينفق بقدر طاقته؛ تجتمع مبالغ كبيرة ويبارك الباري فيها بزيادة مما يمكن أن تعملها في واقعها.

لو أن تمويل الجهاد قضية تعتمد على طرف معين؛ تعتبر منهكة.. منهكة للأمة نفسها. ثم إن هذه القضية نفسها هي أيضاً تجعل الإنسان عنده اهتمام.. اهتمام مستمر؛ ليرى نفسه مسئولاً ومعنياً بالقضايا. الآن أليس الكثير من الشعوب يكون عندهم (الجيش) هناك؟ (الجيش)! الذهنية هذه مسيطرة أن هناك (جيش)، بل البعض يقول: (إن هناك جيشاً، وإن هناك دولة)! هذه القضية تجعل الآخرين مجردين عن الشعور بالمسؤولية وعن الاهتمام. الإسلام بنى الإنسان على أساس أن يكون صاحب اهتمام بالقضايا الكبيرة، ومشارك فيها.. ومشارك فيها؛ مشارك

بيده، مشارك بنفسه، مشارك بماله. يكون في نفس الوقت شريكاً في النتائج.. شريكاً في النتائج، يلمس الناس هم، ترتفع معنوياتهم عندما يحققون انتصارات.. هم.

فإذا كانت جهة معنيّة ومعيّنة لحالها هي فقط، تذبل الاهتمامات عند الآخرين، وينسون حتى تصبح لديهم حالة؛ لم يعد هناك شعور بمسؤولية. ويكونوا هم معرضين للهزيمة، فإذا ما هُزمت تلك الجهة المعينة هزمت البلاد بكلها.

لهذا يأتي الخطاب موجه للمسلمين، أليس الخطاب موجه للمسلمين؟ ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾(البقرة٢٤٤)، ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾(البقرة١٩٥)، ﴿كُونُوا أَنصَارَ اللّهِ﴾(الصف١٤) وهذه القضية هامة من الناحية التربوية بالنسبة للأمة، وفيما يتعلق بواقع الأمة في بنائها.. بنائها النفسي. بالطريقة هذه يصبح الناس.. يصبح الإنسان المؤمن صاحب نفس كبيرة، صاحب اهتمامات كبيرة، يرى نفسه في الصراع الكبير مع الأعداء مهما كان كبيراً، لا تكون نفسيته معرضة للتضاؤل والتلاشي، فالإنسان الذي لا يعطى قضايا كبيرة.. تكون نفسيته معرضة لـ(ماذا)؟ للاضمحلال والتلاشي، فيصبح لا يمثل أي رقم في الحياة، لا يمثل أي دور في الحياة. لكن هنا قضايا تجعل لك دوراً في الحياة، لك فاعلية في الحياة، ونفسك تكبر، ومعنوياتك تكبر، واهتماماتك تكبر.

لاحظ هنا في قضية الحج وقضية البيت الحرام والمشاعر؛ كيف هي مفرقة داخل آيات الجهاد! أليست موجودة من أول ما ذكر البيت؟: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾؟(البقرة: من الآية١٢٧)، ثم ذكر: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللّهِ﴾(البقرة: من الآية١٥٨)، ثم ذكر هنا الحج: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ﴾(البقرة: من الآية١٩٦)؛ لأن هذه لها علاقة ببناء الأمة، لها علاقة بمواقفها من أعدائها، لها أثرها الكبير في تعزيز وحدة الأمة، تمثل ملتقى للبشر.. للمؤمنين جميعاً، تعتبر منطلقاً للتوعية فيما بينهم، أو وصول أي توجيهات من ذلك المكان إلى أي بقعة في بقاع الدنيا التي فيها مسلمين.

ثم أمر بتمام الحج والعمرة؛ متى ما اتجهت إلى العمرة وابتدأت في أعمال العمرة، فيجب أن تُتِمّها، متى ما بدأت في أعمال الحج التي تبدأ بالإحرام فيجب أن تُتِمّه. إذا حصل إحصار منعك من أن تُتم الحج فهناك الهدي. نفس الشيء فيما يتعلق بأهمية الحج، أنه له أهمية كبيرة، الأعداء يركزون عليه بشكل كبير كما قلنا أكثر من مرة. كما أذكر أن الإمام الخميني قال من قبل: (إنهم يخططون للسيطرة على الحج؛ أمريكا وإسرائيل تخطط للسيطرة على الحج). هي قضية معروفة الآن؛ تصنع المؤامرات الرهيبة، ومحاولة تَمَحُّل الذرائع كما يسمونها- فيما يتعلق بالسعودية، وفيما يتعلق بدول المنطقة وشعوب المنطقة كلها.

يبيّن تشريعات الحج بطريقة قريبة ليس فيها (فنقله) كثيرة، لأن الكثير من مسائل الحج من الأشياء التي اختلفت أو تعددت فيها الأقوال، حتى أصبح الحج دقيقاً جداً وخطيراً جداً؛ أدنى شيء ولزمك دم.. لزمك دم.. وهكذا!

ذكر تفاصيل الحج، وبعد قال: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾(البقرة: من الآية١٩٧) وهناك قال بعد: ﴿وَاذْكُرُوا اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾(البقرة: من الآية٢٠٣) التأكيد على أن للحج أشهر معلومات قضية هامة يجب أن يتشبث بها المسلمون، لا يأتي العدو في يوم من الأيام - مع استجابة الأنظمة الحاكمة للمسلمين - فيصبح عنده رؤى: أنه يوزع الحج على أشهر؛ اليمنيون يحجون في شهر كذا والإيرانيون في شهر كذا، أو الأفارقة في شهر كذا والآسيويون في شهر كذا، ويوزعونهم ويقولون: (المقصود واحد! إذا المقصود واحد أن يطوف ويذهب يرمي.. هي هذه موجودة)! لا، ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾لا يصح إلا فيها.. لا يصح إلا فيها؛ لأنه لو يجزأ الحج بالنسبة لوقته معناه: تبطل الغاية العظيمة من وراء تشريعه؛ أنه يمثل ملتقى واحد للمسلمين في وقت واحد وأيام معدودة معينة، الأيام المعدودات: هي أيام منى.. أيام التشريق.

لأهمية الحج فيما يتعلق بالناس؛ يُحظر عليهم أشياء كثيرة مما قد تثير شقاق فيما بينهم: الكلام السيئ.. الكلام الذي يعتبر رفث، الرفث بأنواعه، الرفث سواء بكلام سيئ، أو بالتلفّت للنساء الحاجّات، هذا كله يدخل ضمن الرفث. ﴿وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾(البقرة: من الآية١٩٧)، (.. ولا جدال) ممنوع الجدال في الحج. إذا كان

هناك حوار متبادل، طرح قضايا معينة، حول توجيه للناس تذكيرهم بما يجب أن يعملوه، تذكيرهم بخطورة العدو الذي يتوجه ضدهم وأشياء من هذه، تذكير للناس بالله.. ذكر لله؛ ليتجنبوا الأشياء التي تثير الشقاق فيما بينهم: الجدال، الكلام البذيء؛ سواء الحجاج من بلد واحد وهم في سيارة واحدة أو مع أي حجاج آخرين.. مع أي حجاج آخرين، مهما كانوا من طوائف أخرى، لا تدخل معهم في جدال، حاول ألّا تدخل في جدال نهائياً، لو حاول هو ذكّره بأن هذا المكان ليس مقام جدال.

شخص آخر جاءت منه كلمة بذيئة! ذكّره.. تقول له: (لو أننا في البلاد يمكن أن أجوّب عليك لكن هذا المقام ليس مقام كذا، استح من الله، اتق الله)؛ لتبقى الأجواء فيما بين الحجاج ـ من أي بلدان كانوا وحتى من أي طوائف كانوا ـ تبقى أجواء صالحة للتفاهم فيما بينهم، وتذكير بعضهم بعض بالقضايا التي يجب أن يهتموا بها جميعاً.

يؤكّد على موضوع ذكرِ الله في كل مناسك الحج، في كل المواقع، بالنسبة للمناسك؛ في عرفات، في مزدلفة، عند البيت الحرام، في نفس الأيام، ذَكَر الذّكر عند المشعر الحرام بالنسبة للأماكن.. أماكن، يعني: إشارة إلى الأماكن أن تذكر الله بالنسبة للأماكن، وذِكْر بالنسبة للأيام؛ ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ يعني: تكون حريصاً على أنك تُكْثر من ذكر الله في تلك الأمكنة، وفي تلك الأيام.

يَذكر بالنسبة لطلبات الناس أو نفسيات لدى البعض: ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾(البقرة: من الآية٢٠٠). مشغول بطلبات في الدنيا وماله في الآخرة من نصيب. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(البقرة:٢٠١ـ٢٠٢) هذه القضية هامة: تذكير للإنسان بأن تكون نظرته شاملة.. شاملة للدنيا لهذه الحياة، وللحياة الأخرى؛ أن تكون كلها محط اهتمام لديك.. كلها محط اهتمام لديك كما كانت هي؛ يعني الله جعل دينه بهذا الشكل: حسنة للدنيا والآخرة، نفس دينه جعله للدنيا والآخرة.

أن يكون الإنسان ـ وهو يدعو الله سبحانه وتعالى ـ يكون على هذا النحو يعني: ينظر لهذه الحياة والحياة الآخرة كلها. لا يكون ممن ينظر لهذه الحياة فقط، أو ينظر نظرة قاصرة لهذه الحياة وليس في ذهنيته الحياة الأخرى! أحياناً متى ما ساء فهم هذه الحياة يؤثر جداً على الحياة الأخرى، سوء الفهم للحياة هذه يؤثر فعلاً على ما يمكن أن يجعلك ناجيا في الحياة الأخرى. يعني لاحظ كمثال في هذه: عندما تكون نظرتك للحياة هذه بأن هذه الحياة؛ (الله خلق الدنيا على هذا النحو ولا يصلح فيها حق)! أليس الإنسان سيحاول كيف يقدم لنفسه مبررات كي لا يعمل في سبيله؟ و(.. أهل الحق لا ينتصرون على أهل الباطل! وأهل الباطل يكونون دائماً منتصرين! وهم كذا وهم كذا)! أليست هذه نظرة مغلوطة للحياة هذه؟ تجعلك في الأخير لا تتحرك في سبيل الله. ألست هنا أثّرتْ على حياتك الأخرى؟

سوء الفهم لواقع الحياة هذه.. لواقع الأرض هذه ولسنن الحياة هذه، يؤثر بالتأكيد على مستقبلك في الحياة الأخرى. لماذا الكثير من الناس لا يتحركون في سبيل الله؟ بسبب ماذا؟ نظرة مغلوطة إلى الحياة هذه، وكيف جعلها الله عليه؛ (لا يوجد فيها مكان.. ليس فيها مكان للحق، وهذه النفوس ـ نفوس الناس التي خلقها الله ـ ليس فيها مكان للحق؛ إذن ما دام ليس هناك مكان للحق أجلس في بيتي وبَس)! فتقعد عن العمل في سبيل الله الذي ستتوقف عليه نجاته في الآخرة.

فتعطي الإنسان توجيها بأن يكون فاهماً؛ فاهماً للحياة هذه الدنيا، وفاهماً للآخرة، ومهتم بالحياة الدنيا هذه والحياة الآخرة؛ لأنها حياة واحدة في الواقع.. هي حياة واحدة في الواقع. ليس الموت إلا عبارة عن فاصل مثل ما يأتي فاصل في النشرة، يأتي فاصل وبعده يكمل النشرة؟ هي هي، هي حياة واحدة، وأنت ستكون في الآخرة بنفس المشاعر، تبعث أنت أنت. لا تفهم بأنك قد صرت بشكل آخر أو كأنه حلم!

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ لم يأتِ ليقول ـ على أساس أنه يقدم النموذج الصحيح ـ (ومنهم من يقول: ربنا آتنا في الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)! مثل ما يأتي التوجيه من عند الكثير من الناس يقول: (الدنيا.. الدنيا) يقول: (لا تهتم بالدنيا، اهتم بالآخرة) ويقدم لك الآخرة فقط! الآخرة مرتبطة بالدنيا

هذه؛ فتكون نظرة صحيحة لهذه الحياة الدنيا ونظرة صحيحة للآخرة، وتطلب من الله الحسنة في هذه الدنيا وفي الآخرة.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾(البقرة: من الآية٢٠٢) لأنّ الله قد يؤتيهم في الدنيا هذه نصيباً مما كسبوا وفي الآخرة، عملك يجعل منه هنا وهناك، نصيب هنا في الحياة الدنيا ونصيب في الآخرة؛ لأنه.. أين النصيب الباقي؟ عندما يقول: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ هل يمكن أن تعتبره (نصيبٌ): يعني في الآخرة؟ فالنصيب الثاني أين إذا حصل له نصيب.. فقط؟ لازال هناك نصيب ثاني، النصيب معناه: قسط من الشيء؛ ﴿نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ ما كسبوه يستفيدون منه؛ في الدنيا وفي الآخرة.

﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(البقرة: من الآية٢٠٢) وحتى في الدنيا يحصل حساب.. محاسبة ـ ولو لم يكن كما في الآخرة حساباً شخصياً أو حساباً جماعياً بالشكل ذاك ـ حساب واقعي، أعمال الناس يحاسبون عليها، يذوقون وبال أمرهم، كما قال في آية أخرى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً﴾(الطلاق: من الآية٨)، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾(الطلاق:٨-٩) هنا في الدنيا قبل الآخرة؛ ليفهم الناس بأنه: أن ما كسبوه يحصل نصيب منه هنا، أعمال سيئة يحصل من عواقبها السيئة هنا قبل الآخرة.

هدى الله سبحانه وتعالى يتناول التقييم للناس، التشخيص للناس؛ لأن هذه قضية هامة؛ قضية أن يُعَرِّفك على الناس كيف هم، بدأ في هاتين الآيتين أن هناك من الناس من يقول: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾(البقرة: من الآية٢٠١) وهناك فئة: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾(البقرة: من الآية٢٠١)، ألست أمام صنفين من الناس؟

يقول أيضاً: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾(البقرة:٢٠٤) في نفس الوقت من ألدّ الأعداء، ومن ألدّ الناس خصومة، ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾(البقرة:٢٠٥) نحن الآن أمام ناس من النوعية هذه.. ناس من النوعية هذه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أليسوا هم يقولون لنا بأنهم: جاؤوا ليحرروا.. يحرروا الناس، ويعملوا المناهج التعليمية بشكل أفضل، ويعملوا على ترقية الشعوب، ويعملوا..! عبارات براقة.

﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾(البقرة: من الآية٢٠٥) متى ما اتجه عملياً.. كلامه كلام براق بهذا الشكل، لكن في المجال العملي: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾(البقرة:٢٠٥). وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ بشكل عام؛ لتكون عارفاً أنت أن الناس هم أنواع، قد يكون منهم ـ سواء في الداخل أو في الخارج ـ مَن هم على هذا النحو، لا يكون عندك النظرة التي حصلت لآدم؛ عنده: ما هو ممكن! كيف يمكن أن مخلوق من مخلوقات الله يحلف يميناً فاجرة؟ ويقسم بالله: إنه لمن الناصحين! أليس هو كلاماً أعجبه؟ يعني ماذا؟ يعني يستبعد أن الشخص يأتي ليقسم بالله؛ لأن الله عظيم في نفس آدم.

هذه أول عملية خداع من ﴿مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ يقسم بالله: من الناصحين، لكن؛ وعمله فساد، تحصل هذه من جهة الأعداء، وتحصل أيضاً في الداخل، يعني: أن الإنسان المؤمن الذي يهتدي بهدى الله يجب أن يكون واعياً، وأن يكون ذكياً، وفاهماً، لا ينخدع بشعارات، لا ينخدع بكلام زائف، لا ينخدع بكلام مزخرف، يجب أن يعرف: هل هذه الجهة مظنة أن يكون واقعها كما تقول؟ هذا من الأسس في هذه، هل ممكن أن يكون هذا، هل من المحتمل أن يكون هذا يكون واقعه مطابقاً لما يقوله؟ أما إذا قد مر في حياته بتجارب كبيرة، ووجدناه شريراً فيها، وفي كل مرة يخدعنا بكلام معسول، وكل مرة نقول: [عسى إنه قد با يصدق، عسى أما ذا الحين أنه قد با يصلح] معناه أنك تجعل نفسك ميدان للخداع باستمرار.

هذه تهدي الناس إلى أن يكون لديهم قدرة في التقييم، قدرة في التقييم للآخرين، ومن الأشياء الأساسية في هدى الله سبحانه وتعالى هو: أنه يعطي الناس بصيرة يستطيعون أن يقيموا، أن يعرفوا الصادق من الكاذب، يعرفوا أنه قد يمكن أن يكون أفعاله متوافقة مع أقواله الجذابة، يعرفوا أنه قد يمكن أن يكون مخادعاً بكلامه

المعسول، وأفعاله كلها شر؛ لأن هذه قضية أساسية في مقام الهدى، وأن تعرف أنه عندما يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ هذه قاعدة في تشريع الله، في هدي الله، لا يأتي بأشياء فقط يقول لك يوجد كذا فقط.

عندما تأتي إلى القرآن الكريم تجد أنّ داخله كثيراً من الآيات التي تحكي ما يشخّص في الأخير لك هذه الفئة.. وهذه الفئة، وتعرف النفسيات تماماً حتى بمؤشراتها. لا يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ ويتركها هكذا مبهمة مجملة، أول شيء يعطيك فكرة أن هذه قضية واقعية؛ يحصل في الناس نوعيات من هذه. وفي نفس الوقت داخل سور القرآن الكريم، آياته؛ الأشياء الكثيرة التي تشخّص. هنا لاحظ كيف تحدث عن المنافقين، وشخص نفسياتهم وأعمالهم وأقوالهم ووسائل خداعهم و.و.و. في داخل آيات القرآن الكريم، في كثير من السور.

هنا أيضاً فيها: ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أليست هذه عبارة خطيرة؟ يشبه القسم الذي أقسم به إبليس لآدم .. خدعه ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾(الأعراف:٢١) وهو في نفس الوقت ﴿أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ لك، أَلَدُّ الخصام للأمة، يعني: خصم من أَلَدّ الخصوم.

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ أينما وصلتْ يده. في أرض أينما وصلت يده يفسد فيها، ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ هذه القضية الآن معروفة، من خلال ما نراه من أعمال الأمريكيين والإسرائيليين، ومحاولتهم لإهلاك الحرث والنسل. إهلاك النسل: عملية التشجيع على الحدّ من النسل، ووسائل كثيرة يعملونها ليحصل عقم عند الكثير من الرجال سواء في أحزمة، أو في أجهزة طبية، أو في أي شيء من الأشياء هذه، أو داخل المواد الغذائية، أليس هذا إهلاك للنسل؟

وإهلاك للحرث أيضاً فيما يتعلق بمواد كثيرة يشكون منها، قالوا: في مصر الآن حصلت هذه.. في مصر! تصبح الأرض نفسها معطلة، لم تعد صالحة للزراعة.. لا تصلح للزراعة. وإهلاك للحرث.. تدمير للزراعة؛ أليسوا في فلسطين يدمرون الزراعات، يدمرون المزارع. وتدمير للزراعة من جهة أخرى؛ إذا هناك شعب ينتج كاليمن ينتج (بُنّ) يحاولون أن يدمروا هذه الزراعة التي تعتبر مصدر هام لكثير من الناس، بطريقة؛ يحاولون أن يصدروا بُنّاً مدعوماً.. مدعوماً، يعني يبيعونه ولو بأقل من سعر الشراء حتى يضربوا الناتج المحلي. هذه عملوها حتى في قضية الدجاج.. مزارع الدجاج، يعني ترى البلاد العربية، ترى هنا في اليمن، لم يعد يصلح أن يتربى فيه دجاج!، لازم تأكل دجاج من البرازيل أو دجاج فرنسي!. إهلاك الحرث والنسل يكون أحياناً عبر هذه الطرق المتعددة.

يحاولون فعلاً أن يهلكوا حرث الناس هذا، فلا يعود أكثرهم منتج، لا يعود يشكل بالنسبة لهم شيء، المواطنون يظلون في الأخير مجرد مستهلكين، وما خسره في عملية إهلاك حرثك ـ عندما يحاول أن يصدر لك كميات مدعومة تراها رخيصة أرخص من الناتج المحلي، في الأخير عندما يعطّل زراعتك أنت ـ سيستعيد ما بذله ما خسره بأضعاف مضاعفة، سيرفع السعر قليلاً .. قليلاً، في وقت قد أنت محتاج إليه! هذه سياسة عندهم ثابتة.

للأسف لا يوجد هناك رعاية من نفس الحكومات القائمة؛ تشجيع للمزارعين، تشجيع للناتج المحلي، تسهيلات كبيرة حتى يمكن للمزارع أن ينتج ويبيع برخص ويكون أيضاً مستفيداً ما يغطي تكلفته ووقته، ما يساوي وقته وتكلفة الإنفاق على المزروعات في حراثة الأرض حتى يُحَصِّل ثمرته ويُسَوِّقها.

لا تحصل رعاية بهذا الشكل! لماذا؟ لأن بعض الشركات الأجنبية وبعض الدول الأجنبية تعمل رشاوى كبيرة.. رشاوى كبيرة لمسئولين معينين، وحاول يضرب هو.. يساعد هو في ضرب الناتج المحلي، ويستورد منتجات من البلدان الأخرى، في الأخير ترى زراعة التفاح، زراعة هذه الحمضيات بشكل عام، زراعة البُن، زراعة أشياء كثيرة، معرّضة للتلاشي، ليبقى الناس في الأخير سوق استهلاكية، ولا حتى الخضرة أو الفاكهة لا تعود تحصلها من بلادك.

إذن تلاحظ من هذه أنك تقارن ما بين الأقوال والأفعال، كوسيلة من وسائل أن تعرف الطرف الآخر. لا تُخدع بكلامه المعسول دون أن تنظر إلى فعله. إذا أنت تنظر إلى أفعاله تجد أفعاله على هذا النحو، ستعرف بأنه إنما يخادع بكلامه ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ هذه نوعية سيئة؛ لكن في نفس

الوقت أنت يجب أن تنظر إلى أعماله لتعرف من خلالها أنه شرير، وأن كل ما يقوله من كلام معسول إنما هو عملية خداع.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾(البقرة: من الآية٢٠٦) يأنف أن يتقي الله، يأنف أن يرجع عن هذا الفساد، أن يتحول عما هو عليه من فساد.. يأنف ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾(البقرة: من الآية٢٠٦).

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ ـ نوعية أخرى.. تجد كيف النوعيات متفاوتة بشكل كبير ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾(البقرة:٢٠٧) يبيع نفسه من الله ابتغاء مرضاة الله. فيجب أن تفهم أن النوعية هذه هي النوعية التي تُصلح في الأرض.. هي هذه، وليس فقط المسألة أنه نفهم النوعية السابقة؛ هذه النوعية تكون منصرفة بعيدة عن الله، بعيدة عن هدى الله، غارقة في ذاتيتها، تتحول إلى مفسدة في الأرض! النوعية الأخرى المتجهة إلى الله.. المهتدية بهدي الله، هي النوعية المصلحة في الأرض، ولصلاحها في الأرض ـ وهذا من قمة الصلاح في الأرض ـ أن يكون مستعداً أن يبيع نفسه من الله، عندما تبيع نفسك من الله، في مواجهة من؟ هل هناك بيع للنفس من الله في مواجهة مصلحين؟ أو في مواجهة مفسدين؟ مفسدين.

عندما يكون هناك نوعية من الناس بهذا الشكل: (يبيعون أنفسهم من الله، في مواجهة مفسدين)؛ معناه: أنهم يحولون دون الإفسادِ أن يعمَّ عبادَ الله، فهم المصلحون في الأرض هم. إذن هؤلاء هم الوطنيون، هم الوطنيون حقيقة.

يتجلى للناس من خلال هذه كيف تكون النتيجة بالنسبة للالتزام بهدى الله أو الإعراض عنه، الإعراض عنه، يطلع نوعية من تلك السيئة التي قال عنه: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾(البقرة: من الآية٢٠٥). ومن يستقيمون على هدى الله يكونون نوعية من هذه النوعية الأخرى، لأن الجهاد في سبيل الله.. في سبيل الله هو في الواقع من أعلى الخدمات للأمة؛ لأن الجهاد في سبيل الله إنما يكون جهاداً لمفسدين من النوعية هذه، والمفسدون من النوعية هذه عندما يقول: ﴿يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ حرث ونسل من؟ حرثه هو ونسله هو؟ أو حرث ونسل الآخرين؟ أليس حرث ونسل الآخرين؟ فالجهاد لهؤلاء مَنْ يكونون على هذا النحو ـ أليس في الواقع لصرف هذه النوعية عن أن تهلك حرث ونسل الآخرين ـ من إيجابياته الهامة: أن هؤلاء هم المصلحون في الأرض حقيقة، ولا قدم لك هنا مسألة أقوال براقة لديهم بالنسبة للنوعية الثانية هذه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ﴾! هل هذا النوع لديه كلام براق مخادع؟ وأيضاً لم يقدم لك قضية: ومن الناس من يقول كذا وكذا، وهو في نفس الوقت كذا، حتى ولو كلاماً جميلاً، وواقعياً؛ لأنه عادة النوعية هذه تكون مخلصة لله، عمليّة، فاعلة، لا تحتاج أن تعرض نفسها بشكل براق، ولا حتى هناك داعي؛ نحن.. ونحن.. ونحن.. ونحن.. إلى آخره. لا تحتاج إلى هذا. متى ما باع نفسه من الله، هذا جانب عملي هام، والإيجابية هنا في موضوع العمل: ﴿يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾.

﴿وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾(البقرة:٢٠٧) رؤوف بعباده بما فيهم هؤلاء الذين شروا أنفسهم من الله، ورؤوف بعباده جميعاً أن يهيئ من النوعية هذه حتى لا ينفرد بهم المهلكون للحرث والنسل، والمخادعون بالكلام المعسول.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾(البقرة: من الآية٢٠٨) الدخول في الإسلام، التسليم لله، التسليم لله (كافةً). هنا لاحظ النماذج التي قُدِّمَتْ لمن يكونون مُسْلِمين لله أو غير مُسْلِمين لله.. فالتسليم لله، الإسلام لله، هو السلام الحقيقي لعباد الله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾(البقرة: من الآية٢٠٨) ليس معناه: ادخلوا في السلام الذي يدعوكم إليه الآخرون.. سلام أمريكي، ليخرج من هناك من يقول: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾(البقرة: من الآية٢٠٨)!

هذا التسليم لله، وما هو سلام حقيقي وهو القائم على التسليم لله، هذا الإسلام. أليس الله سمى دينه الإسلام؟ هي كلها مشتقة من عبارة تسليم، والتسليم في الأخير (سلام)؛ ألم يسم الجنة (دار السلام). فالسلام الحقيقي

يأتي نتيجة وثمرة من ثمار التسليم الحقيقي لله سبحانه وتعالى؛ لأن الله هو (السلام)، وسمى دينه: الإسلام، وسمى الجنة: دار السلام.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾(البقرة: من الآية٢٠٨) وأنتم ستجدون سلماً من النوعية الأخرى هذه: المخادعة، فالإنسان بحاجة إلى أن يكون في موقف، يسلم من التضليل، يسلم من الخداع. لأنه إذا مشى التضليل عليك، ومشى الخداع عليك، تصبح أنت ضحيته، يصبح المجتمع الذي هو قابل للتضليل، وقابل للخداع، يصبح هو ضحية.

إذن فدين الله، وهدي الله هو سلامة للناس من التضليل ومن الخداع، ومن كل ما يجعلهم في الأخير ضحية، وضحية ما لها قيمة، وضحية يكون بعدها جهنم، خسارة في الدنيا، وخسارة في الآخرة. ﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(البقرة: من الآية٢٠٨) كل ما قد يصل بك إلى أن تتأثر بالنوعية هذه المخادعة، المضللة، هي كلها من وساوس الشيطان، وخطواته، تنبهر بخطاباته البراقة، تنبهر بوعوده البراقة، تنبهر بقوة معينة هو عليها، وعندك أنه هو الذي يشكل هو سلام.

الآن لو يأتي عرض عسكري في أي بلد عربي، هل يوجد أحد من الناس ربما قد يعجب به، ويعتبر أن هؤلاء ناس يستطيعون أن يعملوا كذا؟ الآن اقتضحوا بعد قضية العراق، وعندما وجدناهم هم يتسابقون إلى ود أمريكا وإسرائيل، معناه أن الجيوش التي لديهم، والقوة التي لديهم أصبحت لا تشكل شيئاً، لا تشكل حماية، قد يكون العراقيون مثلاً ربما كانوا سابقاً عندما تعرض صواريخ أنتجها العراق، يعتبرون أنفسهم جيشاً قوياً يظهر بعروض عسكرية، يتركز شعر الواحد منهم وعنده أن هؤلاء سيستطيعون أن يصدوا أي قوة تهاجمهم، وفي الأخير كيف كانت؟ لا شيء، في الأخير شكلت لا شيء، تهاوى الجيش، وتهاوت القوة، ودمرها العدو قبل الدخول في الحرب.

إذن لا تتبعوا خطوات الشيطان هو لا يوجهك أبداً إلا حيث يكون فيه هلاكك، قد يوجهك إلى أن تعجب بطرف معين؛ لأن في إعجابك به ينفق تضليله عليك، تكون في الأخير ضحية. لاحظ كيف كان قصة موسى، وفرعون قصة عجيبة، وجذابة جداً، وبين في الأخير كيف كانت النتيجة عندما استطاع فرعون أنه يخدع قومه بمظاهر الملك، والأساور الذهب، وبالنيل كأنه هو الذي صنعه، وموسى يبدو إنساناً فقيراً معه عصا قد يكون عندهم أن هذا لا يمكن يشكل شيئاً، موسى لا يمكن للأمة سلامة، أو يهديها سبيل الرشاد، لكن فرعون عندما قال: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾(غافر: من الآية٢٩). أليس هذا كلام من هذا النوع الجذاب؟ يلاحظون شكليات معينة هو عليها، وعندهم [هذا الذي يهدينا سبيل الرشاد، أما ذلك، موسى لا يستطيع يعمل شيئاً، هو فقير ليس معه إلا عصا!]، وفي الأخير كيف كانت النتيجة؟ ألم يصل موسى بقومه، ومن ساروا معه إلى أن يهتدوا، فينجو؟ ينشق لهم البحر، ويخرجون، وفرعون وصل وأوصل قومه إلى أعماق البحر، يغرقون في البحر؛ ولهذا قال الله فيما بعد: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾(طه:٧٩) انخدعوا بأساور من ذهب ماذا سيعمل لي أن معه سوار في معصمه ذهب براق؟، هذا سيهديني سبيل الرشاد؟ أو أن معه كرسياً ومطعماً بالأحجار، وبالفصوص، وبالأشياء الجميلة، ومزخرفاً، هذا الذي سيهدينا سبيل الرشاد؟.

أحياناً تكون العروض العسكرية نفسها قد تعتقد بأن هذا الجيش يمكن أن يشكل حماية للأمة، ترى صواريخ تعرض، ترى دبابات، لكن في الواقع كشف، وهذا من النعمة علينا حتى يعرف الناس: أنه يجب أن يعتمدوا على الله، ويعدوا هم ما يستطيعون من قوة، يتجهون هم، الجيوش لم تعد تشكل محط أمل حتى عند الحاكمين أنفسهم! الشيطان أحياناً، والشياطين قد يجعلون شعرك يتركز وأنت تشاهد عروضاً معينة، أو تشاهد خطاباً معيناً، أو تشاهد أشياء من هذه تقول: [هذا الذي هو أسد الله سيهزم أبوهم هؤلاء انظر ماذا ؟] عندما يرى صواريخ من تلك فوق ناقلة أو نحوه.

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(البقرة:٢٠٩) أليس هنا ينهى الناس وينبههم: لا تتبعوا خطوات الشيطان، ادخلوا في السلم كافة، فيما يشكل سلامة لكم من هؤلاء الذين هم مخادعون،

ومضللون، وفي نفس الوقت متى ما اتجهوا عملياً يفسدون في الأرض، يسعى معناه: يتحرك، يتحرك بقوة ليفسد في الأرض، فالسعي: هو الحركة زيادة على الحركة الطبيعية.

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ ثم اتباع خطوات الشيطان ليس معناه: خطوات رزينة، وخطوات ثابتة، معناها: انزلاقة. أحياناً قد تسير على طريق تعتبر خطواتك فيها خطوات ثابتة. أليس في الأدعية: وثبت أقدامنا؟ أدعية المؤمنين؟ تزل قدمك، مزالق خطيرة. ليس معناه أنك ستحط قدمك مكان قدمه، بمعنى: أن الله يرسم للناس الطريق التي تكون أقدامهم ثابتة عليها. إذا كان هناك خطوات تمثل انزلاقات، فهو يهدي الناس إلى أن تكون خطواتهم بعد خطواته ثبات، واستقامة، ولهذا قالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(البقرة: من الآية٢٥٠) ألم يكونوا بعد شخص، بعد طالوت شخص خطاه ثابتة، تخطو خطواته تكون خطوات ثابتة، خطوات الشيطان كلها مزالق تزل قدمك.

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾(البقرة: من الآية٢٠٩) بينات توضح لك أن هذه الخطى تزل قدمك إذا مشيت عليها، وهناك طريق الخطى الثابتة، تريد تكون خطاك ثابتة؟ امش هناك، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(البقرة: من الآية٢٠٩) هو غني عنكم، ولن تعجزوه، ولن تفوتوه.

بعد وضوح البينات، وكثرتها. يعني: تجد الآن نقرأ الآن سورة واحدة، أليست سورة واحدة من القرآن، [سورة البقرة] كم تجد فيها من زحمة هدى! كم تجد فيها من أمثلة متعددة! كم تجد فيها من أشياء كثيرة جداً! ماذا بقي بعد هذه؟ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾(البقرة: من الآية٢١٠) يعني أمر الله وعذابه. ما يقدم هدى على أعلى مستوى، وبيان على أكمل بيان، ووضوح، وبلاغ تام، ماذا تنتظرون بعد؟ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾(البقرة: من الآية٢١٠) عذاب، يأتيهم أمره (والملائكة) الملائكة أيضاً من جنود الله الذين يكون لهم دور في مسألة عذاب الأمم، ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾(البقرة: من الآية٢١٠) يُقضى عليهم، قضي الأمر، متى ما بدأت مؤشرات العذاب بسبب انصراف الناس عن هدى الله، اعتبر الموضوع قضي الأمر. ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾(البقرة: من الآية٢١٠).

لاحظ هذه الآية ما أهمها وكثير من الآيات في المواقف الهامة يأتي بعبارة: {إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ} (هود: من الآية١٢٣) أو ﴿إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾(الشورى: من الآية٥٣) أو ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾(البقرة: من الآية٢١٠) هذه تعطي للإنسان دفعة بأن يسير على هدى الله، وأن يعرف أنه ليس هناك مقابل لهدى الله، إلا أن يأتي أمر الله: العذاب، والخزي، والعقوبات، ألم يقل هناك: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾(التوبة: من الآية٢٤) بالنسبة عن الجهاد، وتكون أموالهم، وتجارتهم، وبيوتهم، ونساؤهم، وأولادهم أحب إليهم من الله ورسوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ يعني: لم يبق بعد هذا الهدى الشامل والوضوح الذي تراه برحمة الله، مليئاً بالرحمة، حقيقة، لم يبق إلا ماذا؟ الهلاك.

فيفهم الناس بأنه يجب أن يستقيموا، وأن الله هو الذي إليه ترجع الأمور، هو الذي يغير الأشياء، هو غالب على أمره، لا أحد يستطيع حتى ولا الأعداء أنهم يعملون شيئاً في الدنيا هم على كيفهم، ويكونون مغالبين لله، لا تحصل هذه أبداً، فلا يكن مما يصرفك عن أن تسير على هدى الله أن ترى أموراً كبيرة هناك تشكل خطورة عليك، الأمور كلها ترجع إلى الله، الله سيجعلها يوم من الأيام لا تمثل شيئاً، بل قد تراها في يوم من الأيام يجعلها الله بالشكل الذي يخدم القضية التي أنت فيها. وحتى عندما تنصرف عن هدي الله سبحانه وتعالى، عندك ولن يحصل عليك شيء، قد صرت مع الجهة التي تمثل خطورة! لا. إليه ترجع الأمور، يمكن يطلع هذه الجهة التي أنت مطمئن إليها، يجعلها تشكل خطورة عليك، وتضربك هي.

من هو الذي الآن متجه لضرب العرب؟ من؟ من كانوا يتسابقون على ودها، وصداقتها، وخدمتها: أمريكا! أليست هكذا؟ لأن عنده أنه إذا قد أصبح من الموالين لأمريكا فلا عليه خوف من أي جهة أخرى. ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فممكن يجعل هذا نفسه، وهذه قد تكون من أشد أنواع العذاب حسرة؛ حين ترى من كنت تتسابق على وده، ويبدو أنه صديق حميم وأشياء من هذه، وإذا هو ـ وأنت تصادقه من أجل تأمن من أي خطورة أخرى ـ وإذا

به هو منبع الخطورة! لا يوجد ملجأ غيره، لا يوجد ملجأ آخر منه أمامك. إذن ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ في الاتجاهين: من يحاول أنه يدبر نفسه، ويكون بعيداً عن هدي الله على أساس أنه مطمئن، يتأقلم مع جهة هي تشكل خطورة، وزالت الخطورة، لا. من يريد أن يتجه على هدي الله ويرى أموراً كبيرة أمامه وعنده، لا. ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ يمكن هذه كلها تلك التي تراها عقبات وجبال كبيرة، تتهاوى.. تصبح لا شيء. معنى هذا: أنه تهديد، يعني: لا تعتقد أن الله يترك القضية هكذا! إما أن يسير الناس على هديه، وإلا فما بقي إلا أن ينتظروا عذابه وعقوباته في الدنيا وفي الآخرة.

﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾(البقرة: من الآية٢١١) اسألهم، وانظر حالتهم! كيف أصبحوا؟ ليتجه الناس عندما يأتي بهداه، ويهدد بأنه: إذا لم تسيروا على هداه ستأتي هذه العواقب السيئة، إذا كنت قد قرأت، ورأيت ما وصل إليه بنوا إسرائيل، وما وصلوا فيه من أشياء سيئة جداً، هناك آيات كثيرة، وهدى كثير تمثل نعمة: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(البقرة:٢١١) هنا في السابق تحدث عن قضية كالقضية هذه، ثم رد ذهنيتك إلى أمة أصبح واقعها هكذا؛ آيات بينات: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ لو ساروا عليها هي تمثل نعمة، لو ساروا عليها، واهتدوا بها، ثم كانوا على هذا النحو، فأصبح واقعهم على هذا النحو السيئ في حياتهم، في تاريخهم!، هذا مثل من واقع البشر يقدمه. إذن هذه هي سُنة إلهية: من يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته، ينتظر ماذا؟ نقمة: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(البقرة:٢١٢) هذه الأشياء التي تخدع الناس، تَقَدَّم في البداية، أن يذكر فئتين من الناس: الفئة الأولى هي هذه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾(البقرة:٢٠٤ـ ٢٠٥).

والفئة الثانية هي: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾(البقرة:٢٠٧) هؤلاء ليس لديهم كلام براق، ..مخادع، كالنوعية الأولى، الذي قد تتصور نتيجة لو عوده البراقة، أن بيده مستقبل الحياة، وبيده عمارة الحياة، وبيده تحرير الشعوب، وبيده كذا، وفي الأخير تكون لا تشكل شيئاً، تجعلك تسخر من الجانب الآخر، تنشد إلى الجانب الذي لديه مظاهر، فتنخدع بمظاهره، ويصبح لقوله التضليلي، والمخادع أثر في نفسك، وأنت تنظر إلى مظاهره، تجعلك تسخر من الذين آمنوا، ترى ليس عندهم إمكانيات، ترى ليس لديهم قوة مثل الطرف الآخر، نفس قضية موسى وفرعون. فقط يسخرون منهم؛ لأن هذه الحالة عند الإنسان إذا لم يكن فاهماً لقضية الدنيا هذه، كيف أنه بالإمكان أن يحصل لطرف آخر أموال؟ ويحصل لديه إمكانيات أخرى، ثم انظر كيف تكون عاقبته هو؟ يكون عندك نظرة واقعية بالنسبة لمظاهر هذه الحياة، فلا تكون المظاهر نفسها بالشكل الذي يخدعك، وأنت ترى بأن تلك المظاهر هي في يد ليست يداً أمينة.

هل كان ذلك العرش الذي عليه فرعون، والأساور من ذهب، ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾(الزخرف: من الآية٥١) ألم يقل لهم هكذا؟ كان يقول لهم هكذا، خدعهم بمظاهره، زينت لدى الآخرين بمعنى: أن الطرف الآخر يحاول يقدم ما لديه من أشياء، ومظاهر، يقدِّم لك يزيِّن لك أنت أن تنخدع بتضليله، وتسير بعده، تصبح في الأخير تسخر ممن هم في الواقع سبيل للنجاة، سبيل للهداية، وعلى أيديهم تتحقق الهداية والنجاة، ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(البقرة: من الآية٢١٢).

لو لم يحصل في معادلات الدنيا هذه، الحياة هذه أن يرى الكافرون المؤمنين فوقهم في هذه الحياة، فقد يكون ولو جيل منهم، جيل منهم لا يدرك الشيء هذا، فيوم القيامة سيرونهم فوقهم مثلما قال في آية أخرى، ألم يذكر عن المؤمنين بأنهم: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(المطففين:٣٤ـ ٣٦).

قد تكون هذه النفسية هي نفسية عند الطغاة أنفسهم، عند الكافرين بالله، يكونون هم يزيِّن لديهم ما هم عليه ويدفعهم إلى السخرية من المؤمنين، فتكون مظاهر حياتهم بالشكل الذي تحول بينهم وبين أن يهتدوا، فتكون النتيجة لهم خسارة في الدنيا، وخسارة في الآخرة. قد يرون الذين آمنوا فوقهم في الدنيا، وإذا لم يحصل لدى البعض منهم ففي القيامة، في الموقف الخطير جداً، والحرج جداً؛ لأن مواقف الآخرة أشد من مواقف الدنيا؛ لأنها مواقف حاسمة، ومتفاوتة جداً: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾(الإسراء: من الآية٢١) في الاتجاهين.

فسخريتهم من الذين آمنوا، تجعلهم لا يقبلون أن يهتدوا في الأخير؛ لأن هذه من الآثار السلبية لمظاهر الحياة عند فئة من الناس هم على هذا النحو، هي تحجبهم عن الهداية؛ لأنه قد ألف في نفسه أن يقيم كل شيء على أساس الزخرفة والمظاهر، إذا ما عندك مظاهر حياة كمثله، ولهذا فرعون ما رضي أن يستجيب لموسى، هل رضي أن يؤمن؟ ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ﴾(الزخرف:٥٢) أليست مظاهر الحياة لديه صرفته عن أن يستجيب لموسى؟ لأنه يرى أنه ليس عنده شيء: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ﴾، يقول لقومه: (أنا خير)!

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾(البقرة: من الآية٢١٣) هذا يؤكد في الأخير حاجة البشر إلى كتب الله ورسله، حاجة البشر إلى هداية الله، حتى ولو كانوا ما يزالون مجتمعاً واحداً. يقال في تفسيرها: كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله، حتى وإن كانوا أمة واحدة هم يحتاجون؛ الإنسان كإنسان، المجتمع المتكون من البشر، ولو كانوا أمة واحدة، هم عبارة عن طوائف، أو عبارة عن شعوب وكذا، هم يحتاجون إلى أنبياء الله ورسله وكتبه؛ ولأنه تطرأ فيما بينهم في تعاملهم الفردي مع بعضهم بعض، تطرأ كثير من الاختلافات.

إذن فبالأولى أن يكون البشر بحاجة إلى كتب الله ورسله، في حال اختلافهم هم، فيصبحون طوائف وأمم، فيصبحون مجانبين للحق لأنه هنا في جانب هذا الحق هناك خطوط مجانبة للحق، لأنه حتى داخل الأمة الواحدة المحقة التي هي على السلوك على الصراط المستقيم، تحصل اختلافات عادية بين الأفراد، في مواضيع المعاملات، والنكاح، والطلاق، وأشياء من هذه، يختلفون فيها، ألم يحصل مثل هذه الحالة في أيام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ؟ حصل في نفس المجتمع أشياء من هذه، كانوا يتشاجرون ويختلفون، ولكن تحسم القضايا بسرعة.

ليس معناه بأن البشر عندما يكونون أمة واحدة هم كبشر، واعتماداً على فهمهم وذكائهم، أنهم قد أصبحوا يستطيعون أن يرسموا لأنفسهم طريقة، فلا يحتاجون إلى كتب ولا رسل، البشر يحتاجون إلى هدى حتى لو وصلت الأمة إلى أن تصبح أمة واحدة فهي ما تزال بحاجة ماسة إلى هدى الله المستمر دائماً، هدى الله المستمر دائماً داخلها، وإلى هذا الهدى الشامل؛ لأن هناك كثير من الأشياء تطرأ في داخل يحتاج إلى حل، خلافات تطرأ واسعة كلما اتسعت الأمور قد تحصل.

فبالأولى عندما يصبح البشر مختلفين، وتصبح هناك سبل غير سبيل الله، وتصبح هناك طرق متعددة فلا يمكن أن يَحل هذا الاختلاف، ولا يمكن أن يجعل الناس أمة واحدة إلا ما هو من عند الله، هدى الله المتمثل.. الذي يأتي عبر هذه الطريقة: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾(البقرة: من الآية٢١٣) لأنه عادة اختلاف الناس يأتي فيه محظورات، عندما يصبحون في واقع هو واقع أن يُبَشَّر وأن يُنْذَر، يكون البشر هم في واقع أن يبشروا وأن ينذروا، ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾(البقرة: من الآية٢١٣) إذن حصلت هذه: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾(البقرة: من الآية٢١٣). فالكتاب نفسه جاء ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، لكن المشكلة أنه ماذا؟ حصل اختلاف فيه.. اختلاف فيه يعني في الكتاب. ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾(البقرة: من الآية١٧٦). كما تقدم في الآية السابقة.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ (البقرة: من الآية٢١٣) أي في الكتاب، ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾(البقرة: من الآية٢١٣). إذن هذه تعطيك صورة ثابتة يختلفون في كتب الله، ويختلفون في دينه من بعد رسله، يكون هذا منشؤها، ليس منشؤها نفس الكتب هي التي توجد اختلاف! لأن كتب الله هي تنزل لتحسم الاختلاف بين الناس في القضايا الكبيرة والصغيرة، تجعلهم أمة واحدة، ويبقون أمة واحدة، وأي شيء يطرأ داخلها هذا يحسمه باستمرار، ومع هذا يأتي من الناس من يختلفون فيه، فعندما يحصل اختلاف فيه منشؤه هو هذا: ﴿بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي في الكتاب ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ يعني: قيل لهم قوموا به، خذوه بقوة، تمسكوا به، التزموا به، وعلى أساس أنهم أوتوه للآخرين، يقدمونه للآخرين، فاختلفوا فيه، فضربوا بقية البشر، ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ أي: أنهم اختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات تحذرهم من الاختلاف، وخطورة الاختلاف، وترسم الطريق التي يسيرون عليها، فلا يختلفون.

فتفهم من هذه أن أي اختلاف في أي أمة من الأمم بعد أنبيائها لا يكون منشؤه أبداً قصور في البينات والهدى، أو تقصير من أنبياء الله على الإطلاق، مثلاً فيما يتعلق بالمختلفين بعد رسول الله محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)؛ البعض لا زال يحاول يتأوّل يقول: يمكن أنهم ما علموا من قول رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): ((فمن كنت مولاه فهذا عليٌ مولاه)) أنه نص على أنه هو الخليفة بعده، ما علموا، ما دروا!، فعندما تأتي تجد اختلافاً بعد نبي من أنبياء الله، تأكد بأن الطرف المخالف هو يخالف عن علم، هذه القاعدة هي ثابتة، وتكررت في أكثر من آية مخالفين عن علم، لم يعد هناك مجال أن تتأول له على الإطلاق، ليس هناك ما تتأوّل له، ثم يأتي من بعد مَنْ يسيرون ـ من بعد ـ على ما قد رُسم كامتداد لذلك الضلال الذي كان نتيجة للاختلاف الذي طرأ، لأن الاختلاف عادة يكون ماذا؟ خروج من طريق الحق إلى ضلال. فالطرف الذي كان على هذا النحو هو يقدم ضلالاً، وفي الأخير قد يكون في الأجيال المتعاقبة من ينظرون إليهم أنهم ساروا على تلك الطريقة، واعتقدوا أنها مسيرة مستقيمة.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾(البقرة: من الآية٢١٣) اعتداء، اعتداء هكذا صريح، ومخالفة صريحة، ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ من الحق﴾(البقرة: من الآية٢١٣) لأنه في أثناء الاختلاف في الدين يصل الاختلاف إلى الاختلاف في الكتاب، أي فيما يتناول الكتاب. ألست تجد اختلافاً في التفسير؟ هو هذا، اختلاف حتى في التعامل مع الآيات، يعتبر هذه منسوخة، وليست منسوخة. يقدم تفسيرها بشكل آخر. فهنا يحصل التباس، يحصل عملية لبس في أوساط الناس من خلال عمل هؤلاء الذين خالفوا بغياً، نتيجة البغي، وبدوافع البغي.

﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ من الحق بِإِذْنِهِ﴾(البقرة: من الآية٢١٣) كأن هذه سنة: أن الله يهدي، يهدي إلى الحق، الذي أضاعه الذين خالفوا، وقدموا ضلالاً، وسموه حقاً، وبدا أمام الناس وإذا هذه القضية قد التبست!، أن الله يهدي: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أن تؤمن الإيمان الواعي، الإيمان الواعي، أن تعرف أن لله سنة في هدايته، أنه رحيم يضيع الحق تماماً؛ لهذا عندما نقول نحن فيما يتعلق بالماضي: عندما ترجع تجد أنه حاصل كان في مسيرة الزيدية هذه، عنك باقي الأمة، كان يأتي أشخاص، كان يأتي أشخاص ينبهون، إنما لم يحكموا حتى نسميهم أئمة بعضهم، وبعضهم حكم، ثم جاء من بعدهم آخرون، فعمموا شيئاً، فجئنا نحن نتشبث به. هذه طريقة ثانية، لم يعد بالإمكان يخرجك مما أنت عليه، ومتشبث به.

افهم الطريقة، إذا فهمت الطريقة الصحيحة ستجد لها أعلاماً في مسيرة البشر، وإن كانت أدوار، قد تكون أدوار محدودة للبعض أو أدوار متفاوتة، لا بأن يضيع الحق تماماً، لكن الناس هم في الأخير يضيعون الحق هم، لا يرضون إلا أن يتشبثوا بتلك الطريقة، ويبقوا عليها.

الآن نحاول نقول في موضوع فنون معينة، هي تعتبر خطيرة جداً في صرف الناس عن القرآن، ألم تنزل أقوال واضحة في الموضوع هذا؟ وترى تشبث في نفس الوقت، أليس هناك تشبث عند طرف آخر، يتشبث لا يرضى يترك هذه الطريقة، وهي طريقة ضلال، لا يأتي الباري ينزل يدك أنت، يخلص يدك ويدخلك في الحق ، لا

تحصل هذه. يعجز بعض الأنبياء، ألم يكن بعض الأنبياء يدعو يدعو حتى يقتنع بعدم استجابتهم، وفي الأخير يأتي عذاب على أمته، يبين بياناً كاملاً واضحاً ولم يبق إلا عناد بحت، يُضربون في الأخير، ليس معناه: أن الله يسمح أن القضية تُعتم تماماً على البشر.

﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(البقرة: من الآية٢١٣). لاحظ كيف الإنسان بحاجة يقدِم له أنه يهدي هدى متكرراً، يأتي للناس من يبين لهم، ويُنزل الكتب تهدي، ثم يأتي ناس يحملونها فيختلفون! ألم يحصل هنا مشكلة؟ ألم يحصل ضلال؟ أيضاً يهدي هناك، يهدي ليبين للناس الحق الذي اختلفوا فيه مَن أوتوا الكتاب، معناه: أن هدى الله لا ينقطع أبداً عن الناس؛ لأن هداه هدى رحيم، هدى رحيم بعباده، لا يقول: يكفي قد نزلنا كتاب، ورسول ويكفي. متى ما اختلفوا في الكتاب، وحصل لبس، وحصل تضليل، هو أيضاً يهدي، لكن من يهدي؟ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾(البقرة: من الآية٢١٣) أليس هذا مظهر عظيم من مظاهر رحمته بعباده؟ فعلاً لا يقول: يكفي [في ستين داهية]. أيضاً يهدي ويوفق: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(البقرة: من الآية٢١٣).

وتجد نفس الطريقة في سنن الله في الهداية، أليس المن البداية أن الله يأتي بطريقة مسهلة جداً؟ وحتى في المرحلة هذه الأخرى التي تعتبر مرحلة خطيرة، هي مرحلة لبس، وقد المنطق ديني، صار المنطق كله ديني، وكله حول الكتاب والسنة، أليس هذا يحصل؟ أيضاً يقدم بطريقة سهلة.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾(البقرة:٢١٤) هذا مظهر آخر من مظاهر عمل الله في الميدان العملي، هدى الله فيما يتعلق في مقام لبس الحق بالباطل، يهدي أليس هذا شيء؟ وفي الميدان العملي يكون هناك أيضاً يهدي، ويفرج، ويأتي بالفرج في المراحل الصعبة، وأن يكون الفَرَج، قيمة الفَرَج العظيم هو في المراحل الصعبة. كثير مما تحصل من هذه يمس الناس بأساء، وضراء، وزلزلة؛ لأن من قد حكى عنهم من قبل النوعية الأخرى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾(البقرة: من الآية٢٠٥).

وهؤلاء الذين يختلفون في الكتاب بعد ما يؤتوه فيعملون ضلالاً، ثم ينشأ من الضلال أشياء أخرى تجعل الحياة مليئة بالأشواك فعلاً، يجعل أشياء كثيرة، مطبات كبيرة، ليس معنى هذا أنه قد طبعها ولازم من يجاهدون في سبيله يصب عليهم بأساء، وضراء، وأشياء من هذه! لا. هو يعطي الإنسان دفعة قوية من البداية، أي: يشجعك أن تكون مستبسلاً في سبيله، وقدم نماذج هامة حكى عنهم بأنهم أحياء، لا يصح أن تقولوا: أموات، شهداء، ثم أثنى على من سماهم في الآية الأخرى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾(البقرة: من الآية٢٠٧).

الروحية هذه تجعلك تتحمل، وتتجاوز كل الصعوبات هذه، وتجد أن المسيرة تنتهي مهما كانت تبدو صعبة، تنتهي إلى ماذا؟ إلى أن يأتي نصر من الله، والنصر من الله معناه ماذا؟ فرج. أليس معناه فرج، وتمكين، وقوة؟ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾(البقرة:٢١٤).

عندما يكون الناس في مرحلة أصبحت فيها حالات من هذه فالمسؤولية هي أن تعمل على إعلاء كلمة الله، وتجاهد في سبيل الله، ولو كان هناك مطبات من هذه، أولاً: أنّه يأتي تأييد من جهة الله، تجعل الكثير من هذه المطبات لا يكون لها أثرها الكبير، ولو تترك على ما هي عليه، لأثرها الواقعي مرهقة، لكن يأتي تأييد من الله، يأتي عون من الله، وإن كان ما يزال يبقى لها آثار، لكن لاحظ أنه في حالة أن تتعود على الصبر، وفي حالة أن تعرف قيمة الصبر، وتعرف قيمة العمل الذي أنت فيه، تكون معنوياتك مرتفعة، وتعتبر نفسك في نعمة توجد عندك حالة من التحمل لما يأتي، فليكن ما كان، أتركه ينتهي إلى قتل في سبيل الله. أليس هو سيعتبرها فضيلة؟ البأساء، والضراء، كلها أليست دون القتل؟ أليست دون القتل على الأقل؟.

إذا أنت موطِّن لنفسك وتفهم بأنه حتى أن تقتل في سبيل الله هو نعمة كبيرة، وشرف عظيم، وفضل كبير لك، ودرجة رفيعة. إذن فالبأساء، والضراء، فلتكن كيفما كانت سنتحملها. إذا كان الناس على هذا النحو، معناه: يكون

عندهم قابلية، وتوطين لنفوسهم على أن يتحملوا بأساء، وضراء. والبأساء، والضراء، فيما قد يمس الإنسان باعتبار أمواله، وباعتبار بدنه.

أحياناً قد تصل المسألة إلى هذه الدرجة: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾(البقرة: من الآية٢١٤) زلزلة، أحداث، وغربلة، وبلبلة، وأشياء حتى وهم منطلقون على أساس هم مؤمنون بنصر الله، لكن : ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾؟(البقرة: من الآية٢١٤) ظروف حرجة، ﴿أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: من الآية٢١٤) كأن معنى العبارة: ﴿أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾(البقرة: من الآية٢١٤) أنه يأتي الفرج الإلهي، يأتي النصر الإلهي.

لاحظ قيمة هذه أن تقدم الأمثلة على أن الله سبحانه وتعالى لا يتخلى عن أوليائه، عن المجاهدين في سبيله، في المرحلة الحرجة.. في المرحلة الحرجة، أليس المرحلة الحرجة، والظروف الحرجة هي التي تجعلك أحوج ما يكون إلى الفرج؟ إلى النصر؟ يعني: هي المرحلة الحرجة فعلاً.إذن ليس معناها: بأنه وباقي المسيرة من قبل قد لا يحصل شيء.

عندما ترجع إلى القرآن الكريم تجد كيف قال عن معركة بدر، ذكر أنه أنزل المطر ليثبت أقدامهم، وذكر تأييد ملائكة، وذكر أشياء كثيرة؛ لأن هذه لها قيمة فيما يتعلق بالثقة، ثقة الإنسان بالله تكون ثقتك به بأنه لا يتخلى حتى في الظروف الحرجة، فارق كبير لو أن المسألة تقدم أمثلة في بدايات الأشياء، أو في القضايا السهلة قد تقول: لكن كيف لو وصلت المسألة إلى كذا؟ أو قد ترى مثلاً بأنه لم يمر بك ما يسمى فرج، أو ما يسمى تأييد، في مرحلة معينة، وقد أنت في تلك المرحلة الصعبة يكون عندك أنه قد تخلى منك، كأنه قد تخلى عنك، لا. تكون ثقتك بالله بأنه لا يتخلى عنك، وتقدم الأمثلة لترسيخ الثقة بهذه الأمثلة التي تعني: المرحلة الحرجة.

ألم تقدم فيما يتعلق بيوسف في موقفه الحرج جداً مع امرأة العزيز، وهنا في ميدان المواجهة، في ميدان الصراع مع الآخر؛ ليخلق عندك ثقة بأن الله لا يتخلى في الظروف الصعبة، وهي القضية الهامة، أليست هي القضية الهامة؟ الظروف الصعبة، أما أشياء من قبل يمكن قد لا تشكل خطورة لا يكون لها وقع كبير على أنفسنا.

هناك مثال لهذا حتى نعرف قيمة هذه، قد تجد كثيراً من الناس الذين نسميهم ـ على حسب الشيء المعروف عندنا ـ مؤمنين، وعبّاد. أليس هو يأتي يذكر لك قصص كثيرة عن سفرته عندما يحج، أو يسافر، أن الباري هيأ، ووفق، وسهل، وأشياء من هذه؟.

عندما تقول له: نجاهد في سبيل الله، لم تعد هذه الفكرة! قد عنده فكرة أنه لن يحصل فرج في هذه القضايا الكبيرة، وهو يحكي لك هو أنه تسهيلات حصلت له في سفره، أو في قضية معينة، في تزويج ابنه، أو في بناء بيته، أو في أشياء من هذه: [سهل الله، ووفق الله، وهيأ الباري، والباري جيد ولا يتخلى عن أحد] وأشياء من هذه. لكن اعرض عليه موقفاً صعباً، يقول: لا. إذن ألا يوجد فارق هنا؟ فأن تقدم الأمثلة التي ترسخ ثقتك بالله في القضايا الحرجة، تعطيك ثقة من هنا وكذا إلى أول، من النقطة الحرجة ويكون ما قبلها بالأولى، وما قبلها، لأنه أهم شيء عندك هي الحالة الحرجة، الحالة الخطيرة.

إلى هنا وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد بعد مزيد من المراجعة والمقابلة مع الكاسيت الصوتي بتاريخ : ٨ / شعبان / ١٤٣٧ هـ الموافق : ١٥ / ٥ / ٢٠١٦ م

الله أكبر
الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس من هدي القرآن الكريم

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

قاطعوا
البضائع الأمريكية
و
الإسرائيلية

دروس من سورة آل عمران	الدرس الأول : ٢٠٠٢/١/٨م	الدرس الثاني : ٢٠٠٢/١/٩م	الدرس الثالث : ٢٠٠٢/١/١١م	الدرس الرابع : ٢٠٠٢/١/١٢م
دروس من سورة المائدة	الدرس الأول : ٢٠٠٢/١/١٣م	الدرس الثاني : ٢٠٠٢/١/١٤م	الدرس الثالث : ٢٠٠٢/١/١٥م	الدرس الرابع : ٢٠٠٢/١/١٦م
دروس معرفة الله				
الثقة بالله ـ الدرس الأول : ١٨/ ١/ ٢٠٠٢م	نعم الله الدرس الثاني : ١٩/ ١/ ٢٠٠٢م	نعم الله الدرس الثالث : ٢٠/ ١/ ٢٠٠٢م	نعم الله الدرس الرابع : ٢١/ ١/ ٢٠٠٢م	نعم الله الدرس الخامس : ٢٢/ ١/ ٢٠٠٢م
عظمة الله الدرس السادس : ٢٣/ ١/ ٢٠٠٢م	عظمة الله الدرس السابع : ٢٥/ ١/ ٢٠٠٢م	عظمة الله الدرس الثامن : ٢٦/ ١/ ٢٠٠٢م	وعده ووعيده الدرس التاسع : ٢٨/ ١/ ٢٠٠٢م	وعده ووعيده الدرس العاشر : ٢٩/ ١/ ٢٠٠٢م
وعده ووعيده الدرس الحادي عشر : ٣٠/ ١/ ٢٠٠٢م	وعده ووعيده الدرس الثاني عشر : ٤/ ٢/ ٢٠٠٢م	وعده ووعيده الدرس الثالث عشر : ٥/ ٢/ ٢٠٠٢م	وعده ووعيده الدرس الرابع عشر : ٦/ ٢/ ٢٠٠٢م	وعده ووعيده الدرس الخامس عشر : ٨/ ٢/ ٢٠٠٢م
دروس متفرقة				
وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن : ١١/ ٢/ ٢٠٠٢م	ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى : ١٠/ ٢/ ٢٠٠٢م	معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد : ٨/ ٢/ ٢٠٠٢م	معنى التسبيح : ٩/ ٢/ ٢٠٠٢م	الإرهاب والسلام : ٨/ ٣/ ٢٠٠٢م
خطر دخول أمريكا اليمن : ٣/ ٢/ ٢٠٠٢م	مسؤولية آهل البيت : ٢١/ ١٢/ ٢٠٠٢م	مسؤولية طلاب العلوم الدينية : ٩/ ٣/ ٢٠٠٢م	الثقافة القرآنية : ٤/ ٨/ ٢٠٠٢م	لا عذر للجميع أمام الله : ٢١/ ١٢/ ٢٠٠٢م
محياي ومماتي لله : ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٢م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) : ١/ ٢/ ٢٠٠٢م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) : ٢/ ٢/ ٢٠٠٢م	ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام : ٩رمضان١٤٢٣هـ	حديث الولاية : ١٨ ذي الحجة ١٤٢٣هـ
أمر الولاية : ١٨ ذي الحجة ١٤٢٢هـ	وأنفقوا في سبيل الله : ٢/ ٩/ ٢٠٠٢م	{إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا} : ـ/ ـ/ ـ	خطورة المرحلة : ١٦/ ٣/ ٢٠٠٢م	دروس من غزوة أحد : ذو الحجة ١٤٢٢ هـ
الإسلام وثقافة الإتباع : ٢/ ٩/ ٢٠٠٢م	آيات من سورة الواقعة : ١٠ رمضان ١٤٢٣ هـ	آيات من سورة الكهف : الجمعة ٢٠٠٣/٨/٢٩ م	وأقم الصلاة لذكري : ١٤٢٣ هـ	الموالاة والمعاداة : ١٤٢٣ هـ
من نحن ومن هم : ـ/ ـ/ ـ	فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى : ـ/ ـ/ ـ	الوحدة الإيمانية : ـ/ ـ/ ـ	وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ : ـ/ ـ/ ـ	الشعار سلاح وموقف : ١١ رمضان ١٤٢٣ هـ
لتحذن حذو بني إسرائيل : ٧/ ٢/ ٢٠٠٢م	يوم القدس العالمي : ٢٨ رمضان ١٤٢٢ هـ	الصرخة في وجه المستكبرين : ١٧/ ١/ ٢٠٠٢م	اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً : ٢٤/ ١/ ٢٠٠٢م	الهوية الإيمانية : ٣١ /١/ ٢٠٠٢م
دروس من وحي عاشوراء : ٢٣/ ٣/ ٢٠٠٢م	دروس مديح القرآن من الدرس الأول إلى الدرس السابع : من تاريخ ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٣ م ـ إلى تاريخ ٣/ ٦/ ٢٠٠٣ م			
دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ				
سورة البقرة : الآيات (٢١ـ ٣٩) : ٣ رمضان ١٤٢٤ هـ	سورة البقرة : الآيات (٤٠ ـ ٦٦) : ٤ رمضان ١٤٢٤ هـ	سورة البقرة : الآيات (٦٧ـ ١٠٣): ٥ رمضان ١٤٢٤ هـ	سورة البقرة : الآيات (١٠٤ـ ١١٤): ٦ رمضان ١٤٢٤ هـ	سورة البقرة : الآيات (١١٥ـ ١٤٥): ٧ رمضان ١٤٢٤ هـ
سورة البقرة :الآيات(١٤٦ـ١٨٦): ٨ رمضان ١٤٢٤ هـ	سورة البقرة:الآيات(١٨٧ـ٢١٤): ٩ رمضان ١٤٢٤ هـ	سورة البقرة :الآيات(٢١٥ـ٢٥٢): ١٠ رمضان ١٤٢٤ هـ	سورة البقرة :الآيات(٢٥٣ـ٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤ هـ	الآيات(٢٧٥من البقرة ـ٣٢ من آل عمران): ١٢ رمضان ١٤٢٤ هـ
سورة آل عمران :الآيات (٣٣ـ ٩١): ١٣ رمضان ١٤٢٤ هـ	سورة آل عمران: الآيات (٩٢ـ ١١٦) : ١٤ رمضان ١٤٢٤ هـ	سورة آل عمران: الآيات (١٦١ـ آخر السورة): ١٦ رمضان ١٤٢٤ هـ	سورة النساء: الآيات (١ ـ ٤٢) : ١٧ رمضان ١٤٢٤ هـ	سورة النساء: الآيات (٤٣ ـ ١١٦) : ١٨ رمضان ١٤٢٤ هـ
سورة النساء:الآيات (١٣٥ ـ آخر السورة) : ٢٠ رمضان ١٤٢٤ هـ	سورة المائدة: الآيات (١ ـ ٢٦) :٢١ رمضان ١٤٢٤ هـ	سورة المائدة: الآيات (٢٧ ـ ٥٧) : ٢٢ رمضان ١٤٢٤ هـ	سورة المائدة: الآيات (٥٥ ـ آخر السورة) : ٢٣ رمضان ١٤٢٤ هـ	سورة الأنعام: الآيات (١ ـ ٣٩) : ٢٤ رمضان ١٤٢٤ هـ
سورة الأنعام: الآيات (٣٩ ـ ١٠٢) : ٢٥ رمضان ١٤٢٤ هـ	سورة الأنعام: الآيات (١٠٣ ـ آخر السورة) : ٢٦ رمضان ١٤٢٤ هـ	سورة الأعراف: الآيات (١ ـ ١٣٧) : ٢٧ رمضان ١٤٢٤ هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٨٣ ـ ١٦٢) : ٢٨ رمضان ١٤٢٤ هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٦٣ ـ آخر السورة) : ٢٩ رمضان١٤٢٤هـ